اللغة والتاريخ في حياة الامم

ان كل أمة من الامم تكون شخصية معنوية تتصف بالحياة والشعور ، وتمتاز ببعض النزعات والميول
ان حياة الامة تقوم بلغتها ، بوجه عام ، أما الموت بالنسبة الى الامة فليس — في حقيقة الامر — الا في الحرمان من اللغة الخاصة بها . ان الامة التي تدخل تحت حكم دولة اجنبية تفقد استقلالها وحريتها ، وتصبح مستعبدة لها ؛ ولكنها لا تفقد حياتها ، مـا دامت محافظة على لغتها ، فقد قال أحد المفكرين : « ان الامة المحكومة التي تحافظ على لغتها تشبه السجين الذي يمسك بيده مفتاح باب سجنه . » انها تبقى حية ، ما بقيت محافظة على لغتها ، انها تبقى مستعدة للحرية والاستقلال ما دامت متمسكة بلغتها .
وأما اذا فقدت هذه اللغة فتكون قد فقدت الحياة ، تكون قد اندمجت في الامة المستولية عليها ، وفقدت كل ما لها من عناصر الكيان ، انها تكون قد زالت من عالم الوجود ، وبتعبير أقصر « ماتت » بكل معنى الكلمة

ان اللغة تكوّن روح الامة وحياتها وتمثل أهم عناصر القومية وأثمن مقوماتها . أليست ميراث الاجيال الماضية ، وهـدية الحوادث التاريخية بوجه عام ؟ أفلا يحق لنا ان نقول انها تربط الماضي بالمستقبل على الدوام ؟

★

هذا ويجدر بنا ان نـلاحظ ، عـلاوة على كل ذلك أن الحياة ليست كل ما يهم الوجود . فان هناك شيئاً آخر ، لا يقـل أهمية عن الحياة ، وان كان تابعاً لها : ألا وهو الشعور . ان للامم شعوراً ، كما للافراد . فالشعور القومي بالنسبة الى حياة الامم ، مثـل الشعور الشخصي بالنسبة الى حياة الافراد

قلنا ان حياة كل أمة من الامم تقوم بلغتها ، ويجب ان نعرف في الوقت نفسه أن شعور كل أمة من الامم يتكون من ذكرياتهـا التاريخية الخاصة بها

فالامة التي تحافظ على لغتها وتنسى تاريخها تكون بمثابة فرد فاقد الشعور ، بمثابة فرد غاطّ في النوم ، أو بمثابة مريض في حالة الاغماء . انه لا يزال على قيد الحياة ، غير ان حياته هذه لا تكتسب قيمة الا اذا استيقظ من نومته ، واستعاد الشعور الذي فقده مدة من الزمن

فيحق لنا ان نقول : ان اهمال التاريخ القومي يكون بمثابة الاستسلام الى الذهول والكرى ، واما نسيان التاريخ المذكور فيكون بمثابة فقدان الشعور

★

وان التاريخ يكون مفيداً عندما يفرغ على شكل « قوة دافعة » تحركنـا الى الامـام ، غير انـه يصبح مضراً حين يأخذ شكل « قوة جاذبة » تدعونا الى العودة الى الوراء . فلا يجوز لنا ان نعتبر الماضي هدفاً نتوجه نحوه ، ونسعى للعودة اليه ، بل يجب علينا ان نجعل منه نقطة استناد نستند اليها في اندفاعنا الى الامام ، يجب علينا ان نكون منه قوة فعالة حافزة ، تدفعنا نحو المستقبل الجديد ، وبتعبير أقصر : شعارنا في هذا الباب يجب ان يكون : « تذكر الماضي ، مع التطلع الى المستقبل على الدوام »

ساطع الحصري

ذكرى مرور اربع سنوات على وفاة الريحاني

رسالة

هذه رسالة من كتاب رسائل امين الريحاني الذي هو تحت التبويب الان • و يطالع القارىء فيها حب امين للطبيعة منذ صباه •

ان الريحاني في ادب المراسلة طريف ، ظريف • وانك لتجد في رسائله التي ستطبع في المستقبل نواحي متعددة من صور الحياة .فهناك الرسائل الادبية والفلسفية والاجتماعية والسياسية وغيرها .

عسى ألا نُحرم طويلًا من هذا الكتاب الثمين ، الذي نقدم منه اليوم لقراء الاديب رسالة بمناسبة ذكرى وفاته الرابعة .

« الاديب »



امين الريحاني في الرابعة والعشرين من عمره

صديقي الاعز :

ذكرني العيد الذي مضى بقصيدة المتنبي : «عيدٌ بأية حالٍ عدتَ يا عيدُ» . ويظهر ان مواعيد كافور التي يشكو منها الشاعر اشبه بمواعيدي انا . اذ ما مأدبة العيد في بيتنا بالفريكة الا حلم من الاحلام التي لا تساعدنا على تحقيقها الايام . فقد فسخت غير مبالية شروط دعوتي وعاد العيد بحالة غير مرضية ، فوجدنا واجمين متململين نتصنع في سرورنا المعايدين ونشكو بعد الاحباء الحقيقيين وقرب البلداء والمزعجين . فاخي يوسف أخلف بوعده ولم يحضر . وصديقاي الكريمان جرجي ديمتري سرسق والكونت مولنفن متغيبان . هذا في الكومل وذاك في الاسكندرية والخروف المعلف مرض وذبح قبل اليوم المعهود . والحالة الجوية غير مرضية — الطقس عاطل جداً — بمعنى ان ايام اسبوع العيد كلها كانت زائفة صحوانة . لا ثلج على الارض ، لا عندنا ولا في الجرود ، ولا صدى اصوت النهر والرياح في الوادي ولا أثر للغيوم حول جبل صنين وفوق المتوسط . ومثل هذه الحالة الجوية تزعجني في هذه الايام . واني لاخجل من جبل صنين ، بل اشفق عليه ، فقد اصبح ثوبه الابيض مثل شاريق الشحاذين . بل مثل رداء ديوجن فيه الف خرق والفان .

وقد كان في نيتي ان اجمعكم حول « الكانون» واسمعكم من زفير النار وفرقعة الجمر المتقد انغاماً والحانا . ثم احضر لكم عجوزاً من القرية لتقص عليكم قصص الاقدمين . ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . وقد لا تجري قط . فقلوع وعدي ارتخت وسقطت لركود الهواء وغرقت السفينة بعيدة عن ساحل العيد والمأدبة والاحباء . فهل انت من العاذرين ام العاذلين او تقبل مني الدعاء والتهنئة في قدوم العام الجديد كفارة عن ذنبي . فان والدتي وشقيقتي يهدينك السلام ويتمنين لك معي عود مثل هذا اليوم مراراً وتكراراً ، وانت وذووك في اطيب عيش وانعم بال ، وفي بحبوحة من السعادة الداخلية والخارجية التي لا تزيدها الايام الا نضارة واتساعاً .

ساشاهدك في هذا الاسبوع وافي بوعدي المادي تكفيراً عن ذنبي الادبي ، ان شاء الله .

صديقك

امين الريحاني

الفريكه ٣١ ك١ ١٩٠٦

الايثار

ويوم تكاد الشمس تحرق نفسها ... به، وإخال الكون قدراً بنا يغلي

أتيت الى وادٍ ظليلٍ مؤملًا ... به عذب ماء، مطفئاً ظمأ يصلي

فذ جئت للوادي بدا بين دوحه ... لعيني غدير طيب العل والنهل

فما كدت ادنو منه حتى أتت له ... من البر شاة، وهي ظامئة مثلي

فاعطيت للشاة الوديعة منهلي ... وقلت: أيا شاة الفلاة اشربي قبلي



« دمر »

« دمر » ماؤها على الدر يهوي ... كمرايا تكسرت من لجين

سكر الصحب بالمدام واني ... نلت بالماء والهوى سكرتين

فحفيف الغصون شاب خرير الماء ... لحناً، فألفا جوقتين

جلست حول نهر دمر « غيد » ... صرن والدوح حوله جنتين

« بردى » ما رأيت قبلك نهراً ... ينبت الغانيات في الشاطئين

ليس عيناي لي بكافيتين ... فوق عيني أبتغي ألف عين

عن يميني وعن شمالي وخلفي ... كل حوراء بضة الساعدين

صرت من دهشتي ادير برأسي ... أتوخى بنظرة نظرتين

دمشق ... احمد الصافي النجفي

لفظ الشاعر

اللغة نشاط من حيث انها تنقل التفكير والتصوير من جانب المعقول الى جانب المحسوس. وعلى قدر حركتها ينبض التعبير. والحركة لا تكون في حدود الجامد. ومن جوامد الكلم تلك الجمل المطروقات على مدار الايام حتى ان فاداتها ركت وغاياتها كلت، المصبوبات في قوالب من حديد صدئ لا تقبل التبدل ولا هو الصقل

ومن المظنون عند بعضهم — جريا على ما رأى القدماء — ان الصياغة لا تحاو والديباجة لا تمتن الا من طريق الحفظ. فبالاضافة الى وفرة ما يروي الشاعر من القصائد والمقطوعات يسلس له القريض، وذلك ان الاسلوب الذي نسج عليها الفصحاء الاولون مختزن في حافظته، وان الطريقة التي سبكوا بها وحبكوا مرتسمة في مخيلته.

هذا، والرأي ان الحفظ ان مكن الشاعر من مناهج النظم يحبس قريحته بين جدران المنقول ويغلق عليه ابواب المسموع. وقد يستعمل الشاعر تلك الجمل المطروقات او يحوك على المنوال المسمر من حيث لا يشعر او وهو يشعر وفي وهمه انه ذو فصاحة وذو بلاغة لانه يعارض الفحول او يراسلهم، والتحقيق انه خليق بان يقال عليه انه يسلخهم ويمسخهم. هم أئمة مجتهدون وهو نقال عاجز لا يحرك خاطره فلا يبتكر.

فكما أننا أدركنا ان حشو الدماغ لا يخرّج التلميذ في فن من الفنون ولكن يخمد فطنته وينضب رويّته، كذلك يحسن بنا أن ندرك ان استظهار الاشعار لا ينمي ملكة الشاعر ولكن يجدّ قريحته ويبلد بادرته، فلا انطلاق ولا انسراح بل قعود وركود — شأن المدني الذي لم يركب نهراً ولم يطلع جبلًا فدمه يفوته الدفق. فأين أين النشاط ؟

على الشاعر الحديث ان يصوغ عبارته على حسب ما يستأنس حسه اللغوي بفيض هاجسه فذلك تعبيره. ومن هنا عظمة ابي العلاء ودانتي وجوته وبودلير وتاجور. ولم يغب الامر او بعض الامر عن نقاد العرب أفلا تراهم يمدحون الشاعر بابتكاراته اللفظية؟

وربما ذهب الشاعر في الاستقلال اللفظي حتى انه يجدد الكلمات ويولّد التعبيرات فيفجأ ويحير. ذلك شأن شكسبير وفاليري، وشأن نفر ممن حدُثَ قلبه من روّاد الصوفية، ان شئت وقد يرتجل الشاعر لغته فيسبح في ملكوت كلمته، ذلك ما ابتدعه أعجوبة المئة الماضية: رامبو الفرنسي، فلفّ لفه شعراء ما وراء الواقع وأنشأوا أداءهم انشاء.

نريد اليوم شاعراً يحوك ويوشّي على نحو يخيل اليك انه غريب، وما هو والله بغريب ولكنه جار على غير مثال موقوف. وقد تستوحش اذن لانك تعودت سماع ما الفت، فاذا كنت مستطرف الحس مستطلع الفكر أنست وتمتعت، وقد فطنت الى ان الشاعر هيهات ان يكون عبد ما قيل وان ليس له ان يسقيك خمره في كوب غيره

ثم ان استقلال اللفظ يفسح للمعنى لانه يطلق المعقول من اسار المقول. فكثيراً ما تكون خمر الشاعر الحافظ لغيره ايضاً، وذلك ان التركيب الراتب في الذهن يحدو التفكير ويغذو التمثيل. والحافظ الذي يريد الابتداع كثيراً ما يحجم شأن الورع الذي نشأ على السجود يهاب الابتهال ووجهه الى السماء.

انما الشاعر سيد لفظه. وهو لا يكون كذلك الا اذا أوتي القدرة على التعبير من ذات ملكته، فيسخر الالفاظ لغرضه ويروض القوافي لنفسه، بحيث يضع لسانه أنى شاء وانما انامله التي تجتلب الافكار من المغاوص وتختطف الالطاف من المفاتن وتلتقط أنوار البواده والهواجم.

على ان الشاعر مهما تهب ربّات الشعر له من طلاقة القريحة ونقاوة البديهة فلا بد له من استشفاف سر اللغة زيادةً على الاستكثار من فرائدها ببصارة وتحقيق. فكما أن المتنبي وأقرانه خرجوا الى البادية يأخذون اللغة من أفواه الخلّص كذلك ينبغي للشاعر الحديث ان ينغمس في دواوين اللغة حتى تدور له سنن العرب في نطقها ويستقيم له جانب جليل من المفردات، فيعرف كيف يشتق الكلام وينزّله ويجريه وكيف ينقله الى أفق المجاز ثم كيف يحسن وقع اللفظ على حرف قلمه ويصفو رنينه ويلطف جوه ويدخل على غيره دخولاً جديداً حراً ناشطاً مستأنساً. تلك آلة الشاعر، يعينه على احكامها ذوق نَعِم وتمده سليقة راقت، بفضل قراءات مستبصرات تنبسط على عهود شتى وفنون، لان بقيثار الشاعر حاجة الى الاوتار كلها من ثقيل الثقيل الى حاد الحاد، ولولا هذا ما وسع الشعر — وهو فيض الروح الكلية — تناغيم الكون النابض. ولم يطّلع هذا عندنا غيرُ أبي العلاء، وأحسب ابن الرومي آنسه، لذلك تراهما اكثر شعرائنا ابتكاراً في اللفظ وأقدرهما على توليد الطريف بالتركيب الآخاذ المفاجئ. ولولا الزخرف لطاولهما أبو تمام.

ان هذا الرأي ربيب السنين، ولي فيه تجوال ابعد مما جرى بين يديك. فالى الحديث رجعة.

شتوره بشر فارس

ثـــالات

كلب الجيران

الياس خليل زخريا

يتبح كلب الجيران آناء الليل نباحاً ، متقطعاً ، في نبرات ، مستمرة ، واجفة ، ينتهر بها العتمة ، كأن في حواشي هذا السواد ، الفائض ، العميق ، اشباحاً متلصصة ، تقفز من شقوق الجدران وتثب وراء الدور وثباً خفياً فيتساقط النباح مترنحاً على قباب الزوايا البعيدة .

*

لم يبق ليلة امس في الحي ، على التأمل ، غيري وغيره .

*

هو كلب اشقر صغير في عنقه قلادة ، ربط الى عتبة الباب الكبير بسلسلة من الحديد طويلة ، كلما اندفع في الجري ، اندفاعاً ، عطفته ، القهقرى ، فعوى العواء ، وخدش جناح السكينة ،

ثم قعى ، مخلداً يعد الدراري بعينيه البراقتين عداً سريعاً ، عجولا .

تفتل بحيرة ، ومرار ، ثم تبصبص ، كأنه ينتظر في التحدق عابراً ، على رصيف المقلب الثاني من الليل الواقف على جبهة الارض .

يا ليل ، يا رقة النحافة ، ها قد شقت خيوط قميصك نبحات كلب ضامر حائر ، قبلت رأسه ابنة الجيران ، امامي ، مرة واحدة في الفجر عند صياح الديوك . هي ، لها ، يا ليل ، يا اسود الوجنة ، يا طويل الجلباب ، ولع غريب بالكلاب الشقراء ،

تسرحه بيدها على مهل في كل غدوة ، وتعطره تعطيراً ، وتدل عليه دلالا ، وتربطه في العشي على مدخل الدار يزجر عنها وعني الاطياف العابرة ،

*

ما اظنها ، بعد ، الليلة اوت الى مخدعها ،

ففي صوته رقة وشوق ، ما عهدتهما قبلاً ،

... يضرب الباب بيديه كلتيهما ، ويتدرج ، ثم يهمز ثم يهدأ ، ثم اتذكر معه صياح الديوك على الفجر ، ورنة تلك القبلة على رأسه المستدير .

*

هوذا المفتاح يصر بتؤدة في صير الباب ،

وخطوات خرس ناعمة ، تنساب كالحلم على الرصف ،

وهمس خفي يغيب على بضعة نبحة ،

لقد همد ، في الطمأنينة كلب الجيران

ألوى عنقه ، وتجمع في الزاوية ، يتلهث على مهل ، ولا ينبح .

ان اليد التي لمسته ، في المهدنة والهدهدة هي اليد التي ربطته ، بحجر الباب الثقيل ،

لقد شم شميمه ، وطاب ، ثم رف جفنه واغفى ، وترك عد النجوم لساهر آخر في الحنية الثانية من القرية ينتظر انامل ناعمة تمسح وجهه ، فترسي الزوارق في المرفأ ، عند الواحة ، حيث ينـام الضوء تحت اقدام الجبل الحائر المنتصب .

*

انا هو المنتظر في مشارف السهر ، ومحاني الرؤى طيفاً ضالا غريباً يمر ، بمدخل الباب ويمسح وجهي براحتيه ، ويقرع ثم يدخل الى الاعماق ، ثم اتكمش على نفسي واغيب ، غيبة الخيال في همسه وخفقه وعبيره ،

*

ليت ابنة الجيران تقطع هذه السلسلة ، التي عقدتها ، ليتها تفك قلادة هذا الكلب الاليف، وتطلقه مطمئناً في العتم الهامد ، وتهمس في اذنه ان الذي يعد الكواكب كالذي يعد حبات الموت ، كلاهما يغص بالالم ،

*

الكلب الوفي لا يسقط له جفن ، بل يظل مع القطيع ، يجفل ، وينبح ويطرد الثعالب والذئاب وبنات آوى ، وجعل الغابة والسامرين الشاردين والخواطر العابرة على عطفات الدروب .

نم يا صديقي يا كلب الجيران، ضع رأسك على حافة العتبة ،واترك لي حجر الليل على صدري الحائر، ان الاصابع التي تغمرك بالطمأنينة ، هي التي تغمر شرفات النوافذ بالطيب

. . . وغداً في الفجر ، ستستيقظ مع الزقزقة ، وقلادة خفيفة في عنقك وستنبح نباحاً مرحاً ، ولكنك لن تجد العتمة ، فقد ذهب لون السواد العميق عن عينيك .

انا لن انتظرك في الليلة القادمة ، وسأظل وحدي اترقب شباك قطع الظلمة ،

في عنقي قلادة اقسى من قلادتك وسلسلة اقصر من سلسلتك ربطت بهما العمر والامل الى هذه القصبة كلما تحركت على الورق صرت بالزمن ، صريراً ، غريباً

*

اين هي اليد التي تعطي ، اغفاءة ، وهدوءاً ؟ اين هي الساهرة التي اذا عادت من الموعد في الظلام خافت ان تبوح بالسر ، اردانها المضمخة ؟ اين هي التي تهمس، حتى في اذن الكلاب فيقف الليل متنصتاً من وراء النوافذ ؟ !

*

ايها السراج المتعب ، اقطع نفسك ففي زيتك حبات دم تشتعل في انتظار القافلة ،.

لقد طال غيابها . .

ياهناء الكلاب اللاتي ما ضعن مع القافلة في مسارب الصحراء .

ياهناوها بالقلادة ، والسلسلة والعتبة ، وابنة جيران ،لا تعود من السهر الا في اطاريف الليل، ،اتملأ ممرات الحي بهفة ردائها رؤى ، واشباحاً وطيباً .

*

وبعد . . . ما اطيب ثمل التراب اذا لمسته يد امرأة ،

*

هوذا الصبح ، تفتل الآن يا كلب الجيران ، انت وحدك رضي النفس قرير العين .

انت لنا رسالة خفية ، لو وعتها ، الجدة العجوز ، لضربت رأسك بقبقابها ، الثقيل ،

. . . ومتى كان ، مثلي ، يسهر ويثمل في حديث ابنة جيران، تلبس المخمل، الزهري ، في كل عشية ، وتربط كلبها على العتبة ، بالسلسله الطويلة ، وتغيب .

ما اكره السهر في الانتظار مع نباح الكلاب .

الياس خليل زخريا

لماذا انا قومي عربي ؟



ان السياحة التي قام بها العرب في العالم القديم ، لم تكن سياحة او امتداداً من ورائها عودة وتقلص ، بل كانت مداً حقيقياً تحاضن في كل موضع وصل اليه ، وتركز على ان حدوده آخر ما انتهى .

وقد قام المد العربي ايضاً بتفاعل عنيف مع البيئة الاجتماعية التي حل عليها ، فحولها واذابها فيه ، وبتفاعل البيئة المتحولة الجديدة مع طبيعة الزمن المتقادم ، تبخر ما كان عنها . فصحت خصائص وثبتت خصائص ، كل ما بقي منها في الوجود الماثل ، يدل على انها طبع عربي وصفات عربية ولغة كذلك .

وهذا المد العربي الذي لم يعقبه جزر او شيء من جزر ، يجد مثاله في المد البحري الذي تسنى له ان يعمل في كتلة الارض عملاً جيولوجياً ، ويبتلع في احشائه ما شاء ان يبتلع . وليسمح لي بان اسمي عمل المد البشري على هذا الشكل ، جيولوجية اجتماعية لندرس في طبقاتها ادوار التاريخ التي مرت بها ، كما ندرس تاريخية الارض الصامتة .

ونحن حينما ندرس ذلك في الارض ، لا نصل ابداً الى تجاهل الطبقة الجديدة التي نعيش عليها ، او ازالتها لاحلال طبقة متبطنة ابتلعتها الطبيعة الى الاحشاء . ولو فعلنا نكون قد أسأنا الى التاريخ بتحريف ما خط من سطور يجب ان تبقى كذلك لانها آثار سيره ، واسأنا الى الواقع الطبيعي الذي ابرز ارادته في هذا الشكل الماثل .

وان دعوة تتنادى بهذا التحويل الشاذ ، لا يكون لها وقع في اذن الحقيقة ، الا كوقع نقيق الضفادع — التي يقولون — انها ترهب الليل . انني لا افهم ولا يمكنني ان افهم ، كيف نستطيع ان نقنع هذه الجماهير الغفيرة ، التي لا تحس بشيء وراء المميزات العربية والخصائص العربية ، بان هذه المميزات التي يلمسونها ويحسون بها ، ليست حقيقية ، وانما هي شكلية مزورة . ووراءها خصائص مبطنة في التلافيف ، وهي الخصائص الحقيقية وحدها ، واما المميزات العربية فشيء من خداع الحواس . . .

ولنمض على منهج « ديكارت » لنرى ماذا تكون النتيجة ؟ . كان يقول « انا افكر فاذن انا موجود » ، واذا كانت اللغة هي احد وجهي الفكر كأحد وجهي الدينار ، على حد تعبير « ماكس مولر » اكبر لغاني [1] عصري ، واللغة في اقاليمنا الواسعة عربية خالصة . اذن ففي وسع كل قاطن في لبنان وسورية والعراق ومصر والحجاز واليمن والمغرب ، ان يقول في منطق صحيح وليس اصح منه ، « انا افكر بفكر عربي فاذن انا موجود عربي » .

ويحسن بي ان اذكر الدواعي والاسباب ، التي تدفعني الى تقرير هذه النتيجة كحقيقة لا ريب فيها ، او لا ينبغي الريب فيها وهي :

(١) الشخصية الاجتماعية : تقرر فيما يسمونه « الاثكس » الذي اصطلح الكتاب على ترجمته بالفلسفة الادبية او علم ادب النفس ، ان الانسان ابن الاضطرار لا الاختيار . فهو لا يولد باختياره ، ومتى ولد كانت ذاته كالشمع تنطبع فيها شخصيته . فانه منذ يولد الى ان يشب ويكبر ، يكون مديناً بشخصيته للعوامل الاجتماعية التي تكونها . اذ ان نفسه مسبوكة بقالب « فكرة الاتصال » بالاحوال والحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلة ، فهو يحمل في حياته هذه الاختبارات جميعها ويصوغ شخصيته منها .

ومنذ تتكون في الطفل عقليته يشرع باقتباس تصوراته مما حوله ، واول ما يتناوله هو اللغة . واللغة نظام اجتماعي كونته الاجيال السالفة والحاضرة ، فهو اذن يقتبس نظاماً ابتدعه المجتمع ، اضف الى هذا ، الانطباعات بالادبيات والتقاليد والعادات .

ومن هذا نري ان الفرد مدين بشخصيته للمجتمع من الحائه ، فجميع افكاره وتصوراته صيغت في القالب العام ، الذي اعد من قبل المجتمع كي تصاغ فيه شخصية كل فرد .

وهذا يصل بنا الى ان الشخصية الاجتماعية اضطرارية ، واول

(١) في مقابل كلمة فيلولوجي نسبة الى لغاة على وزن فعالة بمعنى علم اللغة ومعروف ان وزان فعالة يشتق منه للعلم والفن والصناعة .

العوامل فيها هي اللغة والادبيات العامة ، وهذه جميعها في المجتمع الواسع عربية خالصة ، فبصفة الجبر في الشخصية الاجتماعية ،تكون هذه البيئات الواسعة والمختلفة ، عربية فقط .

(٢) نظرية التحول في الخصائص مع الزمن : بما ثبت من جسمانية المجتمع وعضويته يثبت قبوله للتحول، وهذه القابلية تجعله كثير التعرض لاثر الموجات والتيارات القوية الغامرة حتى لتبلغ في تأثيرها عليه ، مبلغاً يفقده كثيراً من الخصائص . فاذا دخل هذه التيارات عنصر الزمن الطويل ، تثبت وحدها وتنتزع من المجتمع ما لا يتسق معها ، وبقاء ما يبقى يكون بحكم الاتساق لا بذاته .

ولا شك في ان المد العربي وتياراته كانت عنيفة جارفة ، ودخلها عنصر الزمن الطويل ، حتى لنستطيع القول : بان العرب في اية بقعة من الارض التي يوجدون الآن فيها ، يرجعون الى ماقبل الف سنة ، اي ان الصفة القومية العربية في كل بقعة ، اقدم وارسخ من كل صفة قومية حية في العالم .

(٣) الصلات الروحية : تجتمع الاقطار العربية على تقاليد واحدة موروثة ، واديان تقرب من ان تكون واحدة في جوهرها وتأملاتها . اذا لم ندخل في تفصيلات لا تعني الجماعة ككائن، وانما تعني الفرد وحده ، فلا عبرة لاختلافها من وجهة اجتماعية بحتة .

(٤) عدم الحواجز البارزة : ان اهم ما يفصل بين مساكن العرب واقطارهم حواجز من نوع الحاجز القابل للالغاء ، وليست من نوع الحاجز الاتم كالحاجز المائي. والحواجز بين الاقطار العربية ثلاث صحارى رئيسية ، اثنتان منها الغيتا او تداعتا نحو الالغاء وواحدة تنتظر . على انه اجريت عليها محاولات سوف تنجح ، عندما ينقذف الوعي الوطني على اشده بين العرب ، فتلغى الحواجز السياسية التي عرقلت محاولات التغلب على شبه الحواجز الطبيعية.

(٥) ان الموجود في كل بقعة يسكنها العرب ، بقية من سلالة وليس سلالة تامة ، واما السلالة الكاملة فليست الا العربية وحدها فقط.

(٦) الملاحظة السبعية في التاريخ : لاحظ بعض المؤرخين بالاستقراء ، ان دور ارتفاع الامة يدوم سبعة قرون ، ودور هبوطها كذلك. فان مدنية روما تأسست قبل المسيح بسبعة قرون، وكذلك المسيحية في دورها الاول، ونهضة العرب الاولى، والفرس القدماء داموا سبعة قرون ايضاً .

ولا ريب عندي في ان معنى ارتفاع الامة، دور سيطرة خصائص معينة من ذات الخصائص النوعية ، ومعنى هبوطها دور انحلال هذه الخصائص المعينة او استجمامها .

لذلك يكون مرور الف سنة او تزيد على فقدان الخصائص من مجتمع ، قميناً بان يحول بينها وبين معاودة الوجود .

(٨) اذا اعتمدنا ما يذهب اليه اصحاب الاقليمية الاثرية او الجيولوجية ، فالقومية الانجليزية التي هي ارسخ القوميات اليوم ، تكون غير حقيقية ومهددة اذا ما استيقظ العنصر السلتي المهزول.

(٩) ان كل فرد من السلالات الاخرى التي شاركت العرب مساكنهم تاريخياً ، اذا ترك على طينته وسجيته ولم يلقن بما يسممه ، ثم سئل عن نسبته القومية لم يتردد في الجواب بانه عربي . لانه درج من قرون وهو لا يعي الا على المميزات العربية في شتى تشكلات المجتمع . واما الاصوات المبغومة التي نسمعها بين حين وآخر ، فليست سوى اصوات مسممة بالتلقين ، واحالة النفسية عن قاعدتها بتضليل عقلي ...

هذه هي الاسباب التي تدفعني وتدفع سائر المنطقيين ، الى المناداة بعروبة جميع الاقاليم التي يسكنها العرب .. ويحددون الوطن العربي بكل ارض سيطرت عليها لغتهم سيطرة تاريخية وحالية ، وضمت من رفاتهم ما يكاد يشكل طبقة رابية من تراب القشرة التي يسعون فوقها .

فليخفف اصحاب النظرية الاقليمية من حدة منطقهم ، فانني لاظن — مع ابي العلاء — ان اديم الارض التي يسكنونها ، ليست الا من اجساد العرب في ثلاثمائة والف من السنين عداً .. نحن لا ننكر ان السلالات الاخرى كان لها مثل هذا النصيب ، ولكن في طبقة اخرى اكثر غؤوراً في الارض. فان ابوا الا التمسك بمنطقهم ، رجعنا بهم الى تحكيم القانون في الملك غير المشاع المؤلف من طبقات، وهو يقضي بان يداعوا بملكية طبقة ذهبت في احشاء الارض، واما هذه الطبقة السطحية الظاهرة التي تطلع عليها الشمس ، فليس لغير العرب ملكية فيها . لان رفات جدودهم المتحولة هي التي كونتها ، وتفاعلت مع ما عليها من الاحياء تفاعلاً اورثهم كل خصائصها ، فان الخصائص ينبوع اذا جف في الشيخ « روّى اليافع الينبوع ».

فتعريف الوطن عندي : ارض شاع في تركيبها عناصر عضوية من عضوية القوم الاحياء ، الذين لا يزالون يعيشون فوق اديمها .. وقد يكون شاهداً لا يقبل الريب ، ان المجتمع الذي تقطنه سلالتان ، لا بد ان تتفاعل فيه خصائصها تفاعلاً تناحرياً ، ينتهي بفاعلية الانتخاب الطبيعي بغلبة الارجح والاصلح .

والواقع المشاهد ان كل ميزات العرب هي التي ثبتت لها الغلبة

وكل مميزات العناصر الاخرى اندحرت او في حكم المندحرة ، فالمميزات العربية هي الارجح والاصلح في ميزان الطبيعة العدل . والاقطار العربية تؤلف مجتمعاً لا بالقوة الخارجية ولا بالاستبداد ، ولا باي شكل من الاشكال الصناعية ، بل بالطبيعة فقط حسب .

وهنا تلزمني وقفة اعبر فيها عن السبب المعقول لسيطرة اللغة العربية ، وهو لا يخلو ان يكون احد احتمالين :

(ا) اما ان موجات العرب كانت جارفة بكثرتها ، حتى لم تثبت امامها لغة السلالات الاخرى .

(ب) واما ان لغة العرب ، تناحرت مع اللغات الثانية فاثبتت انها الاصلح .

وعلى ايهما استندنا فالنتيجة واحدة ، وهي ان السلالة صاحبة اللغة الباقية هي التي لها الرجحان والغلبة ... على اننا حين نغفل كل هذا وننتخب سلالة منقرضة ونعمل على تثبيت مميزاتها ، واشاعتها في البناء القومي لكل قطر ، نكون فعلنا ذلك بواسطة الانتخاب الصناعي ، وهو رجعية حطيمة ، حين ننفخ الروح ونعيد الى الحياة ، خصائص لم يثبت لها البقاء ...

بله ان اثارة هذا البحث من اساسه ، والدخول في تفصيلات التركيب النوعي للامة ، عبث محض وتلاعب محض ، من جهة ان شواهده تاريخية فقط ، وروايات التاريخ لا تعرفنا الكمية التربكة في جسم الامة من كل سلالة ، ولا مقدار تأثيرها وحدتها ، وايضاً لا نعرف مقدار صحتها وصدقها .

ومعنى هذا اننا لا نجد في الاحياء الراهنين ، مميزات تشير الى كل سلالة دخلت في التركيب النوعي للامة في كل قطر ، وانما مستندنا التاريخ وحده ، وهو لا يقاوم ابداً الواقع الطبيعي ، كما لا ينهض اساساً في مباحث الانسان (الانتربولوجي) الا في حد محدود ...

اجدني بعد هذا ، شديد الاطمئنان الى ان الاقطار — التي اهضم العرب ما فيها من سلالات كما هضمت لغتهم مختلف اللغات ، والتي تصل جماعاتها ببعضهم اليوم صلات قومية بارزة — اقطار عربية صليبية .

هذه توطئة نضعها بين يدي بحث او اكثر ، نناقش فيه طائفة من الاصطلاحات يراد اشاعتها ، وهي لا تتفق مع قاعدة الفكر القومي في قليل او كثير ، ولا تدانيه من قرب او بعد .

عبد الله العلايلي

شقاء الانتظار

على باب كوخ قائم على وهدة من الارض فتاة تنظر الطريق . طريق سوداء مبلطة تستقبل عشاء المساء وتمتد معهم طويلة كاحاديثهم الودية ، متعرجة كرغباتهم المتنوعة الملتوية ... ومن هناك يتراءى النهر الخالد ... دجلة ينساب بطيئاً ضنيناً بين ضفتين من النخيل .

لم التفت الى اوانس « ابي نواس » بقوامهن المنسجم ونظراتهن الحادة المتألقة الباحثة ، وفساتينهن القصيرة الرقيقة ...

ان نظري وقف حيث تلك الفتاة التي تنتظر أوبة انسان بعيد . انسان يأتي اليها كل مساء من بعيد لا يحمل اليها العواطف ولا القبلات ولا الهدايا الرائعات ، بل يأتي منحنياً حزيناً يحمل اليها مقطعاً من الخبز الرخيص او الفاكهة ... ذلك الانسان البعيد هو ابوها ويظل الطريق مكتظاً ، فاذا اسدل الظلام سدوله جازت القوارب باحمالها من الجبال الى الجزر الصغيرة ذات الاشجار الباسقة ، وتمتعت في ظلمات تلك العرائش وتخالست النظرات ...

تعرف الفتاة الواقفة على باب ذلك الكوخ كل ذلك ، وتعرف بما يدور ثم تتأوه وتشعر بالم عميق ، لانها تدرك ان هؤلاء الاثرياء المترفين دفعوا كوخها الى الوراء شيئاً فشيئاً ، حيث صعدت ابراجهم وقصورهم هازئة بالمطرودين ... وتفكر ...

ايطردونها مرة اخرى ؟ .. اتزحف القصور من جديد فلا تبقى نشز ولا رابية ولا حفرة ! ... وماذا يكون مصيرها بعد ذلك ؟ ؟ ستزداد الشقة وتمتد المسافة بين كوخها ومحل عمل الشيخ المسكين الذي يجيئها في المساء .

لقد صمدت تلك المسكينة امام كل ضروب الاغراء ، ولكن هل تستطيع ان تعصم نفسها من الزلل ؟

سيتقدم منها احد الشبان المرد في يوم من الايام ويفتح لها باب السيارة فتدور بها الارض ! .

ثم ماذا ؟ ..

ربما ستكون واحدة من هؤلاء الذاهبات مع منعرج النهر يداً بيد مع الشبان ... الى ظلال الاشجار وضوء القمر ... وعند ذاك ستطل من قصر شامخ ، وترى في البعد القصي نقطة سوداء ، هو ذلك الكوخ ، الذي عرفت فيه الفضيلة وذاقت فيه شقاء الانتظار ..

بغداد عبد المجيد لطفي

الشباب

قالها وهو يرى افواج الطلاب تتدفق من الجامعات الى المجتمع بعد فترة من الخمول

•

المعالي غرس ام لم تلد طبعاً غرا ولا نكساً ضفنّا
لم تلد الا فتــاة حرة وسوى الاحرار ليست تتبنى
غرسوا الآمال في روضتهــا فجنوهــا زَهراً يعبق فنا
من تحرّى لقب الملك فما يتحرى نشؤنا اسمى واسنى
يتحرى عَلَماً فوق ثرى حشدوا عبقره انساً وجنا
كل عِلق نَفس الدهر به خافقاً بنداً ووثاباً عِفرنا
تستبين الفجر من غرته وتهز الرمح من عطفيه لدنا
لم تذق طعم الكرى اجفانه وهو بدر التم او اصغر سنا
قلقاً مضجعه ، حتى اذا نصل الليل بفوديه اطمأنا
كيفما شاء العلى كيّفها ادباً غضاً ورأياً مرجحنـا
تسبق العلياء امنيتــه فهو مغبوط بما لم يتمنى
ليس يثني همه عن قصده وردة تزهو وغصن يتثنى

*

ايها الناشيء كن وافعل ودع عنك قول الغر : كنا وفعلنـا
اطلب العلم فتى واعمــل به في طريق العز كهلا ومسنا
وانبذ الجهــل وحطم غله اسد الصحراء لا يألف سجنا
رب جهل مفرد حال بنا تحت اصفاد العنا جهلا مثنى
كن صريحاً وتنقص رائغاً كلما صارحته ورّى وكنّى
قتل الحق بنــا من لم نجــد صدق ما يبــدي لنا فيما اكنا
ينطح الجوزاء فينا شامخاً ويسوف الترب فيمن ليس منا
واذا لم تنكر البغي عــلى من يليه كنته لفظاً ومعنى
لا تسل كيف رزحنا جُنُباً تحت نير الذل واسأل كيف سدنا
اتحدنا فصعدنا والعــلى تترامى حيث قمنا وقعدنا

الجواهري

تصنيف الادباء

بقلم خليل هنداوي



هذا العنوان يدعو الى الغرابة ، اذ متى كان الادب يدخل في باب هو الى ابواب التجارة ادنى منه الى الادب . لكن هذه الموجة المجنونة — من اعاصير المادة — طغت علينا وطغت على كل شيء فينا . فلم يخل منها شيء حتى الادب الذي يفرض فيه ان يكون مثالياً بعيداً عن الغرض والهوى ... وقديماً يقول المثل العربي « آفة الرأي الهوى » فاذا كان الرأي يفسده الهوى ، فليت شعري كيف يصنع الهوى في الادب ؟

ألتفت الى سوقنا الادبية فأجد غزارة في الاخراج ، وفيضاً في الانتاج . فأقول : بارك الله! لقد فجرت الارض عيوناً . حتى اذا قلبت اوراق هذا الانتاج تبينت انه انتاج لا يصدر عن الفكر ، ولا تشيع فيه انفاس الحياة . وانما هو انتاج اقلام مرتزقة . بل قد تصل الى ابعد من الارتزاق ، اذ للارتزاق عندي شفاعة . وانما هو التدجيل والتهريج وقلب الحقائق دون عقيدة ولا ايمان بفكرة سامية . وتجد هذه الفئة من عقلية الشعب البسيطة ما يساعدها على رواج بضاعتها الفارغة . اذ اكثر القراء في هـذا البلد ممن يقرأ بكل شيء فيه الا برأسه . لانه يتجنب مجابهة المشاكل التي تهمه ، ويعاند الافكار التي تريد ان تبدل من وجهة حياته . وان خبراً — في كش الحمام — عنده خير من ان تحلل له كيف يستطيع ان يخلق حيـاته بنفسه ، او يكون شخصيته بذاته ... وان نبأ من عجائب ما وراء هذه الدنيا اجدر بالقراءة عنده من انباء عجائب نفسه . وهو بعـد ذلك قريب المدى ، واهن الذوق . لا يقدر على ان يميز بنفسه الخبيث من الطيب . وهؤلاء المرتزقون من الادباء يزيدون ذوقه وهناً ، وتفكيره بلادة . (لان هكذا ادباء يريدون هكذا قراء) !

هؤلاء الادباء هم من اريد ان اهتك استارهم عن اسرارهم — ومن يدري انني قد اكون واحداً منهم — وكم يعرو القارىء من الدهشة حين يرى هؤلاء « المثاليين » لا يخرجون عن طبقة التجار اذا كان تاجراً او عن زمرة السماسرة اذا كان سمساراً او عن فئة الصيارفة اذا كان صيرفاً ، وهنا قرارة اللؤم

من هؤلاء الادباء — ايها القارىء العزيز — أديب خلا من الذوق الادبي ، والالهـام والاستلهام . فانبرى الى اكفان الموتى الذين درجهم الزمن ، يمزق عنهم اكفانهم ويبعث أبدانهم — (بحجة التصحيح والتنقيح) وربما كان هذا الميت الذي ينشره لم يكن حياً في يوم من الايام . وينشر معه كتاباً — من الكتب الميتة — التي لا تقدم فتراً ولا تؤخر فتراً في الفكر الانساني . ولا تخرج منها الا بالاسف الشديد على ورق لو أنفق في الصرالسر . ومداد لو جرى في غيره لنفع . وترى بعد ذلك ان هذا الكتاب المصحح المنقح يسيح في عشرات من الاخطاء ، فتتساءل : ما حال الكتاب اذاً لو خرج بدون تصحيح وتنقيح ؟ والجواب اسهل منالا عندي : اذاً لكان اقل خطأ . والاجدر بهذا الكتاب ان تنفق اكلافه في شراء اكفان جديدة — للاموات الذين لم ينشروا الا ليقبروا ..

من هؤلاء الادباء أديب نال لقباً ومجداً سالفاً — حين لم يكن في الميدان الا حديدان — حين كان ينظم المقطوعة في السنة فتكون احدى الحوليات ، ومن كان يكتب المقالة المقطعة الاوصال فيقولون : « ولادة ابن المقفع من جديد .. » وكثيرون امثال هؤلاء الذين ناموا على امجادهم السالفة ، وألقابهم الكاذبة . ولا يزالون يستخدمون هذه الالقاب نفسها في جيل ليس منهم وليسوا منه . لو عرضوا بضاعتهم عليـه لما كان ثوابهم الا الهزء والسخرية والصفير .

من هؤلاء الادباء أديب يحسن الاغارة برفق . والتوفيق بين عشرين قطعة ليستخرج منهـا قطعة ... وانتشال الالفاظ من مكان ورصفها في مكان . وقد يمر على النوادي والادباء يصغي اليهم ، ويحفظ منهم ثم يغير على ذلك كله ، ويعطيه لوناً خاصاً هو لونه غير المسروق ، لانه غير مسبوق . وهذا الاحتيال هو آخر ما وصل اليه فن السرقة الادبية حديثاً من الرفق واللين .

من هؤلاء الادباء أديب — تحت الطلب — قد وضع « التلفون » في بيته ليخبر ويستخبر من أصحاب المكاتب « أي موضوع رابح



تجدر الكتابة فيه » وكثيراً ما يخطىء اصحاب المكاتب الظن فيوقعون صاحبهم في ازمة ويقعون . لان اذواق القراء تتقلب ولا تستقر على حال ! هـذا الاديب يقدر « مثالية » أدبه بقدر ما تستنفد السوق التجارية من كتبه وهو لا يشعر بان اردأ البضائع تكون أروجها عادة . ولعل الاستاذ المازني عرض بمثل هذا الاديب حين سئل « في اي كتاب تعمل الان » فاجاب : انا اليوم دكان أدب . . ! وبعد فاي رأي لك في نوع من الادب يوجه اليه اصحاب المكاتب الذين جمعوا بين عبقرية البيع والشراء وعبقرية الانتقاء .

من هؤلاء الادباء اديب معني بنفسه ، مزهو بريشه كأنـه فرخ طاووس . يرى ما يسخو به عقله محض السخاء ، وما يجود به لم يكن له كفء ولن يكون . يحسن الدعاية لنفسه ، ويحث غيره ان يتحدث عنه . يكتب المقال في مدح نفسه ، والاطناب في مآثره وينشره باسم غيره دون ان يكون لهذا منه الا التوقيع . واذا اوتي هذا الاديب بسطة في الرزق اشترى الصحف بماله . وجعل بيته وقفاً على كل اديب عابر ، ليقرأ اسمه بين الفنادق اذا فاته ان يقرأ بين الادباء . واذا طبع له اثراً بشّر برواج نسخه قبل ان يظهر . واذا ظهر قال انها الطبعة الثانية والثالثة . وعلمت نفسه انه وزع اثره مرة هدايا ومرة رزايا ! يضلل غيره وهـو يضلل نفسه . اعماه حب الشهرة عن تقدير اثامها . ولكن فيمَ يأسف على هذا كله ؟ أليس هو — عند الصحف — الكاتب الملهم ، او الشاعر العبقري او البحاثة المدقق ؟ فويل لنفسه مما تجنيه عليـه ، وويل للصحف التي تمسخ الحقائق وتقتل الناس بغرورهم .

من هؤلاء الادباء أديب هو تلميذ للمستشرقين الذين يقرأون العربية بالحروف اللاتينيـة ، ويحكمون على أدب غريب عنهم بذوق غريب . قد جرى في اكثرهم « مرض الفرض » أخذ عنهم صاحبنا الجلد في البحث ، والاصول في تنسيق الفصول ، والاعتناء بالاموات قبل الاحياء . والمواضيـع المهرية قبل المواضيع الحية « بحجة احياء مآثر من في المقابر » . وهذا التلميذ يشعوذ لهم وهم يشعوذون له . هم كل هؤلاء ممن يضايقهم ان يرى النـاس انهم موجودون فقـط يأكلون ويبصرون ، ويبصرون ويسمعون ويشتغلون ويقبضـون . يعجب تلميذهم كيف يتغافل الناس عن دررهم . ويعجبون كيف استطاع تلميذهم ان يفهم مواضع العبقرية منهم وهي ان خفيت عن أدق الناس فهماً ، وارهفهم ذوقاً .

والآن تسألني : وأين منزلة الادب الحقيقي ؟

الادب الحقيقي ليس له — هنا — منزلة ، لانه غريب عن كل ما حوله الا عن نفسه . هو يكتب ليقر حقيقـة ، وهو يغزل لينسج ثوباً . هو يشعر ليستنطق نفسه . وما شأن اصحاب المكاتب والصحف بمثل هذا الاديب الذي أفسد عليه عمقه حياته الادبية . . هذا الاديب يعمل صامتاً ويحيا صامتاً . ليست له صحيفة تسبح بحمده . وليست عنده ولائم تملأ الانوف بريح دسمها . وليست له زلفى يتقرب بها . ولا ألقاب يسخرها لمجده الادبي . ولا دعاية تهتف باسمه . جنايته انه يغترف من قلبه . ويعيش من نار عبقريته لا يغير على الموائد يجمع فتاتها ، ولا ينتزع الموتى اكفانهم المهلهلة . والفكر الحر المجنح يعيش مجهولا .

اذاً ما هي التعزية ؟

هنالك رحى للزمان تطحن . لا تنفع فيها الوثائق المزورة ، ولا تفيد الشفاعات المدمرة . يدخلها الانسان عارياً ، ويخرج منها عارياً . وهي التي تنزع عنه لفائفه المستعارة . وتبقي له قيمه الحقيقية التي تبقى ذخراً خالصاً في تاريخ الفكر الانساني .

اما اولئك الادباء فقد نعموا حياتهم بتدجيلهم وشعوذاتهم . وأما هؤلاء فهم المبدعون الذين يشرق بهم وجه الحياة الآتيـة . بقي أدبهم حياً . وأبقاهم أدبهم احياء . وهذه تعزيتهم الوحيدة في حياتهم وموتهم وحياتهم بعد موتهم . وهي تعزية اكـبر من المجد وأعمق من الحياة .

حلب — خليل هنداوي

صدقت مرة

دعاني استاذي يوماً الى مكتبه وقال لي: سأكلفك اليوم امراً، واشك كثيراً في انك تقوم به.

— ليس هناك من مستحيل عليّ. أتريد ان اصعد في بالون أم انزل الى قاع منجم أم؟..

فوقفني باشارة وقال: «كلا، لا شيء من هذا، ولكن الذي اريد ان تقوم به هو ان تقول صدقاً، وان تقول ما تفكر به»

ولما ان ابهم علي قول استاذي طلبت منه الايضاح فقال:

«ستخرج هذا الصباح وتعود في المساء، اذهب الى حيث شئت، لا اطلب منك الا شيئاً واحداً وهو ان تقول الصدق، الصدق فقط، عندما يحدثك الناس او تحدثهم، ويجادلونك وتجادلهم، ويباحثونك وتباحثهم، سواء في الطريق، او عند اصدقاء، او مخبريك، مع اي كان. فاذهب...

هذا ما كان عليّ القيام به في يومي: ان اقول ما افكر به لا غيره!...

فخرجت من مكتبي على ان امضي يوماً جميلا، واذا بالحقيقة تفسد علي ظني، واليكم البيان:

توجهت الى اجمل احياء المدينة، وسرت في الطريق العام فكان المؤلف الشهير س... اول رجل لقيته في طريقي.

— هذا أنت كيف حالك؟ قال ذلك ومد لي يده للسلام.

قلت حسناً جداً اشكرك. ولكني تذكرت وعدي فناجيت نفسي: «حسناً جداً كيف ذلك؟ كلا، يجب ان اصدق القول» فاسرعت قائلا: اشعر بألم خفيف في رأسي..

— انت تشتغل كثيراً.

— هذا هو الواقع... آه... كلا، كلا وانما ادخن كثيراً.

وسررت لاول خطوة خطوتها في طريق قول الصدق.

— هل طالعت مؤلفي؟

— دون شك — كيف وجدته؟ حسناً جداً أليس كذلك؟

فكرت مدة ثم تشجعت وقلت: مؤلفك؟ ربما انك ترغب في استطلاع رأيي، اصارحك انه سخيف جداً وهذا هو اعتقادي في كل ما تكتبه... أتذكر اني مدحتك كثيراً وقلت عنك انك مفخرة قومك، ولكن رأيي واعتقادي الشخصي هو انك سخيف ولص من لصوص الادب، وليس ما يوازي سخافتك سوى غرورك... ادار المؤلف الكبير ظهره وسار غاضباً... اما انا فتنفست الصعداء... لقد قلت ما فكرت به والسلام. وسأثابر الى النهاية مهما كانت النتيجة الموصلة اليها الحقيقة التي كثيراً ما تكون مرة مؤلمة.

ثم تابعت المسير وانا اجتهد في اجتناب مقابلة اصدقائي خوفاً من اغضابهم اذا أنا صدقت القول، فاقطع بذلك علاقتي باوفى الاصدقاء.

فدخلت الى مطعم. اقترب الخادم واخذ قبعتي، وساعدني في خلع المعطف، ثم سألني بلطف عن سبب انقطاعي زمناً طويلا عن المجيء.. فقلت:

انقطعت عن المجيء... نعم دون شك. لان نقودي اذا كانت تكفي لنفقات الطعام فهي لا تكفي للهبات «البخشيش» كل يوم. ثم انا من اعداء ما يسمونه «بخشيش» واعتقد ان الرجل الذي يأخذ «البخشيش» يكون احط من سائر افراد المجتمع الانساني، بل احط من البائع المتجول في الطريق... «وأخذت اكمل حديثي حسب اعتقادي...». «ان رجلا مثلك يا هنري... هو حيوان منحط... سافل الاخلاق.. قليل الاحساس.. فاقد الشرف... لانه يعيش عالة على غيره... يعيش من... من، من الاحسان واني مجبر على المجيء هنا من حين الى حين منعاً لاحاديث الاصدقاء، واذا كنت اعطيك «البخشيش» فعلى الرغم مني، وتمشياً مع الظواهر الكاذبة، التي تقضي علينا بها المذاهب الكاذبة...

واذ نظرت الى حيث الخادم لم اجد له اثراً، و كنت احادث نفسي. و كانت الخدمة سيئة، وبعد دفع الحساب لم يساعدني احد في ارتداء المعطف، وبحثت بنفسي عن قبعتي.

ولكني خرجت شامخاً لأني قلت ما اعتقده مرة ثانية...

لقيت في الخارج ابنة خالتي «مادلين» وهي فتاة لطيفة ولكنها كثيرة الادعاء...

قلت بعد التحية، اسمعي يا مادلين، انت تكبرين يوماً فيوماً ومن كانت في مثل عمرك لا يحسن بها التشبه بفتاة حديثة السن، لانه عندما تبلغ المرأة خمسة وعشرين عاماً...

فقاطعتني بحدة قائلة: لم ابلغ الخامسة والعشرين بعد فما انا الا في الحادية والعشرين

قلت: كيف؟ تعلمين جيداً اني اكبر منك باربعة اعوام، فلم تكذبين؟ ثم ان الكبر ظاهر عليك جيداً.

احمرّ وجه مادلين عند هذه الكلمات وقالت: صه ايها التعس الابله، الكاذب.

— كاذب، كلا... اني لا اقول الا الحق وهو ما اعتقد

– قف هنا ... ارجو منك عدم محادثتي بعد الان اني لا اعرفك ... وذهبت غاضبة .

عجب عجاب ! كيف يكره القوم سماع الحقيقة فها انا اغضبت ابنة خالتي . صعد الدم الى رأسي ، فلعنت تلك المقابلة المشئومة .

واذا بي التقي شرطياً ، شعرت بميل يدفعني الى مصارحته بما اعتقد فيه ، ولكن خوفاً مما تؤدي اليه هذه المصارحة من عاقبة لا تحمد ، تركته واخذت في المسير . لم اذهب بعيداً حتى لقيت « دوران » اللعين . لقد قدمت له يوماً نبيذاً عتيقاً من اجود الاصناف فسخر مني وقدر الكأس منه باربعة سنتيمات . ومن ذلك الحين ارقب الفرص لانتقم منه لتلك الاهانة التي اتذكرها دائماً كلما رأيته .

– السلام ايها الاحمق . لا اسألك كيف انت لاني اسخر منك وهذا لا يهمني كثيراً ، ثم انك اكثر من عرفتهم بلاهة ، اقد حييتك بتودد مراراً ولكنها العادة فقط اما الان فلست بقائل الا الصدق ، الصدق فقط » . غضب « دوران » مني وذهب يحدث اصدقاءه بانه وجدني ثملًا في حالة مخجلة .

لم احزن ولم أتأثر ، لان الفرصة سنحت وقدر لي الانتقام منه . ركبت « الامنيبوس » بعد هذه المقابلة ، واذا برجل بادن يصعد ويجلس بصعوبة الى جانبي .

ثم التفت اليّ وقال : ارجو ان لا اكون ضايقتك .

– عفواً ، انك تضايقني اشد المضايقة ولا ادري كيف يسمحون بركوب « الاومنيبوس » لفيل مثلك .

ابتسم الحاضرون بينما ظهرت دلائل الغضب على السيد البادن . وكان يجلس امامي شاب حسن المنظر كثير الاعتناء بملبسه ، تذكرت اني اعرف هذا الوجه ، وفيما انا احدق النظر اليه متسائلًا عمن يكون ... قال لي :

– آمل ان تعرفني ؟ – عرفتك الان فقط . – مستحيل .

– نعم انك تذكرني (بنشال) حجز في الاسبوع الماضي .

لدى هذه الكلمات لم يبق فرد من الراكبين لم ينظر الى الشاب نظرة شك او لم يتلمس حافظة نقوده او يغلق سترته . اما الشاب فقد احمر وجهه خجلًا .

قال لي : ستحاسب على هذه الاهانة . هذه بطاقتي فاعطني بطاقتك

– لو كنت احملها لقدمتها اليك عن طيبة خاطر ، ولكن حالتي لا تسمح لي بان اطبع بطاقات قبل آخر الشهر عندما اقبض راتبي . ثم نزلت بهدوء وسرت في طريقي الى المكتب .

فكرت وانا في الطريق بانه يكاد يكون من المستحيل على المرء ان يصدق القول وان يقول ما يفكر به ، لان الحقيقة كثيراً ما تجرح الاشخاص الذين تقال لهم . وفي حالة كحالتي ارتبكت كثيراً مع من قابلتهم في خلال هذا اليوم المشهود

عجلت اذن في الذهاب الى مكتبي وما كدت ادخله حتى قفلت الباب خلفي باحكام ، وتنفست الصعداء .

ها اني هنا اخيراً في مأمن وليس لي ان اقول لاحد ما افكر .

ولكن في هذه اللحظة دق جرس « التلفون » فاسرعت الى الآلة . فكان استاذي نفسه الذي يسألني :

– آلو هذا انت ؟ آه حسناً ... رجعت . أصنعت ما قلته لك في هذا اليوم ؟ وهل كتبت المقال الذي طلبته منك عن هذا الموضوع ؟

لو كان بالامس لقلت له : « نعم » او « اني آخذ في انهائه » ولكن اليوم علي ان اكون مخلصاً الى النهاية . فقلت : كلا .

– متى يتم ؟ قال الصوت . – انا نفسي لست ادري .

فقال الاستاذ : هذا موضوع باهر أليس كذلك ؟

قلت : كلا ، بعيد عن ان يكون هكذا

فاكمل قائلًا : كان يجب ان تكون شاكراً . لاني اعطيتك هذه الفكرة لتخرج ولا تقول الا الصدق ، الصدق فقط ، فامكنك ان ترى بنفسك كيف يشعر الانسان بالتعزية عندما يقول ما يفكر به ... ولو مرة في حياته على الاقل »

كان هذا فوق ما يحتمل .

فاجبت سريعاً « حقيقة » ، « نعم » ولكن هناك مسألة ما زلت افكر فيها ، ويجب ان اقولها ما دام علي ان اكون صادقاً الى النهاية : « افكر في انك كائن فاقد الانسانية ، ظالم ، تمتلىء لحماً وشحماً من عرق موظفيك ، لا تقوم باي عمل ، وتكسب مع ذلك اموالا طائلة . تصل الاخير الى المكتب وتذهب الاول ، وعلى الرغم من اني كنت دائماً أتملقك ، لمصلحتي ، فاني أبغضك ؛ فانت من الذين يقال عنهم مجرمون ، أنت وحش فظ ، أنت .. »

– كفى كفى ، صاح استاذي . أنت تجرأ ان تعاملني هكذا ! اني اطردك . فمرّ على الصراف في خروجك ، ولا ترني وجهك ايها النذل

اردت ان أحتج ، ولكن المواصلة كانت قد قطعت .

فانظر ما الذي افادني قولي لما افكر به .

تركني كل اصدقائي غاضبين ، واستاذي نفسه الذي وضع في رأسي هذه الفكرة ألقى بي الى الباب لاني صارحته القول بما في فكري فهذا الذي استفدته من قولي الصدق ، الصدق فقط ! .

عن الفرنسية

جزيرة الابالســـة

بقلم الدكتور نقولا فياض

ليست الابالسة سوى فئة من الالهة التي اعتنقتها الاديان البشرية من قديم الازمان فكان للخير آلهة هي منبع اللذات وللشر آلهــة هي الشياطين التي تجلب الآلام للعالم ، ولهــذه الشياطين وظائف مختلفة ففي الهند شيطان للعقم وشيطان للقحط وشيطان لليبس وعلى رأسهم « مارا » الذي يوحي الافكار الباطــلة والاقوال الخبيثة والاعمال الشريرة ويحرب على الدوام بوذا وتلاميذه . وفي الفرس شياطين معروفة بالكذب والخداع تسكن القبور والجبال والارض المقفرة وتحاول اغراء البشر ولا تطرد بغير الصلاة ودعاء الكهنة والمجوس ، وفي بابل واشور شياطين للطاعون والحمى والشلل والدم والنار وهي تعالج ايضاً بالصلاة والاستهواء فكان الكهنة يراقبون العليل ويصغون الى ما يقول في حالة الهذيان فيكتشفون الداء واحياناً اسم العدو الذي يجب محاربته . وفي مصر رئيس

تمثال اله الحرب على صخرة وسط البخار المتصاعد من مياه النبع الساخنة

الشياطين هو «سيت» اله الظلمات ، وما المرض سوى صراع بين الشيطان والانسان وعلاجه ايضاً بالتعاويذ والرقى .

وكانت البغضاء القائمة على التعصب للدين والوطن تدفع الناس الى احتقار آلهة اعدائهم واعتبارهــا من الشياطين ولهذا قد تجد الاسم الواحد يطلق عند فريق على الاله وعند فريق على الشيطان وقد فعل اليهود كغيرهم فكانت آلهة اعدائهم الفينيقيين مثل مولوك وبعلزوب شياطين عندهم ولنشأة بعلزوب هذا حديث طريف لا بأس من ذكره هنا .

لا يخفى اليوم على احد خطر الذباب وتأثيره في نشر الامراض كالحمى والكوليرا والملاريا ومرض النــوم ، ويروي كلوديوس اوليانوس الكاتب اللاتيني في مقتطفاته ان سكان شواطىء الاستوابراس وهو نهر في الحبشة كانوا يضطرون كل عام الى الهجرة هرباً من اسراب الذباب الذي ينتشر كالضباب فيحجب عنهــم وجه السماء . هذا الذباب هو « تسي تسي » ناقل مرض النوم يعيش على شواطىء الانهر في ظل الميموزا والموز فتقفر من اجله شواطىء النيل الاعلى والاستبراس طوال ستة اشهر الى ان يأتي الخريف باعتدال ايامه ولياليه ولهذا كان المصريون يؤلهون شمس الخريف لانها تقهر الذباب وانتقلت هذه العبادة الى القيروان حيث كان يسمى هذا الاله الخاص « اخورس » ثم الى فينيقيا فسمي بعل زبوب اي (الاله الذباب) . ولكن اليهــود حرفوا الكلمة الى بل زبوب وجعلوا الاله شيطاناً والذباب كذلك .

وكان لوثر لا يزال يعتقد ان الذباب مشيطنة فكان اذا وقع الذباب على وجهه او على كتابه يغضب ويصيح : « اليك عني يا قرد ابليس واتباعه ، كلما فتحت توراتي تأتيني ايها الذباب الخبيث باقذارك كأنك تقول : هذا الكتاب لي وفي امكاني ان الوثه بدهني » .

وبعض الشياطين في بلاد يهوذا مأخوذ عن اصنام الوثنيين او عن الملائكة ، فان بين الملائكة اشراراً ، واحد هؤلاء وقف في طريق بلعام عندمــا نهض لتلبية بالاق بن صفور ملك مؤاب الذي استنجده على اسرائيل (سفر العدد اصحــاح ٢٢) ومثله الذي كان يعتري شاوول فيضرب داود بيده الكنّارة ليصرف الروح الشرير عنه (سفر الملوك اصحاح ١٦) وكذلك

الذي اثار داود ان يحصي اسرائيل فبعث الرب وباء في اسرائيل فسقط من اسرائيل ٧٠ الف رجـل ، وبعث الله ملاكاً الى اورشليم ليدمرها ، واذ كان يدمر نظر الرب فندم على الشر وقال للملاك : كفى (سفر الايام الاول اصحاح ٢١) ·

هذه الملائكة الساقطة او الشياطين كانت تعيش في عزلةوهي في ظمأ دائم وتعب مستمر فدبت الى جسم الانسان واتخذته لهـا مقراً تتغذى من مادته وتسبب له الهستريا والصرع والجنون ولهذا كان الاقدمون يسمون المصابين بهذه الامراض مشيطنين

وكما كانوا يعزون الامراض العصبية الى الشياطين كانوا يعزون اليها ظواهر الارض الجيولوجية فتقول اسطورة يابانية ان جزيرة كيوشو احتلتها الشياطين وقد اتتها من اقاصي العالم حاملة معها تلك الابخرة ذات الروائح الغريبة ففجرت فيها بحيرات من الماء الحار وحجاً من الاوحال المصهورة الغالية وقدحت في اعالي الجبال شرار النـار فكانت تسمع طقطقة القشرة الارضية كما كانت تتدحرج الصخور فوق الجزيرة والبحر · وجرت انهـار من الحمم واشتعلت غابات الصنوبر وابتلعت الارض الاكواخ مع سكانها ·

وظل سلطان الابالسة على الجزيرة عصوراً وهي تجدد فيهـا الاذى والشر الى ان جاءها يوماً ستة من الرهبـان ونزلوا في تلك الارض غير المضيافة · هؤلاء الرهبان كانوا متشبعين بالحكمـة وارواحهم متنزهة عن شوائب الارض فاختفت الابالسة لدى ظهورهم تاركة بخارها الكريهة الرائحة وماءها الفاتر الغالي · وشرع الرهبان باقامة المعابد الجميلة مرصعة بكل ما تقدمه الصناعة الصينيـة من غريب الالوان والتزاويق ورنت على الشاطيء اجراس الهيكل تدعو المؤمنين من الابعاد الى هذه الجزيرة المطهرة ·

وفي وسط هذه الجزيرة التي فجرت الشياطين براكينها أسست مدينة بيبو Beppu وحماماتها وبقيت الماء والاوحال في غليانهـا يؤمها الناس للاستشفاء فتستقبلهم انفاس الكبريت الصاعـد من اعماقها وتملأ اسماعهم اصوات الماء المنبجس من اقنيته وقد اصطبغت في غباره اشعة الشمس بالوان قوس قزح فيبدو للعين مشهد سحري قامت في وسطه تماثيل ابالسة الجحيم

وابلغ هذه التماثيل أثراً صورة اله الحرب فان لهـا رأساً اسود مخيفاً يزينه قرنان قصيران وجسما مركباً من الحمم او الشبه (البرونز) مرتكزاً على صخر وفخذاه غارقتان في الماء · وكانه وهو يضع يداً على وركه ويقبض بالاخرى على الصولجان يهدد البشر من علو سلطانه ·

وقد حفرت في الارض مراجل مختلفة الحجم يصلها الوحـل الاصفر والاحمر وهو في حالة الغليـان كانه عصيدة سميكة تفور حتى اطراف القدر الذي تطبخ فيه ثم تغور

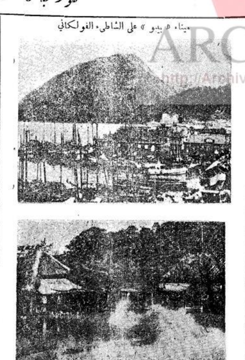
ومن هذه التماثيل واحد اخضر كالبحر واخر يلقبونه « غدير دم الابالسة » قرمزي جميل يصبغ الاقمشة التي تلقى فيه بلون احمر · اما مياه « جحيم الكاهن » فان حرارتها تبلغ درجة عالية حتى ان احد الزوار سقط يوما فيها فذهب لحمه حالا ولم يستطع ذووه ان ينتشلوه الا هيكلا من عظام ·

وقد اصبحت بيبو Beppu ملتقى كل من في اليابان من سحرة ومشعوذين يستغلون المارة والحجاج والمرضى فيستولون على عقولهم وعلى دراهمهم والى جانب هؤلاء مفسرو الاحلام والناظرون في طوالع النجوم والعارفون بالبخت ·

وقد زاد اقوالهم تأثيراً ونبؤاتهم مهابة بخار البراكين المتصاعد من حولهم كأنه ارواح التماثيل المنتصبة امام ابصارهم وهذا ما جعل جزيرة الابالسة ارض الحديث الموحى والشفاء العجيب

نقولا فياض

ميناء « بيبو » على الشاطيء الفولكاني



على ضفة البحيرة الساخنة

حروب الاساطيل عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيرم
امين المخطوطات بدار الكتب الوطنية

كما ان للاساطيل اليوم شأنها واهميتها في العمليات الحربية كذلك كان لها شأنها في سالف الزمن فوضعوا لها الخطط والمناورات اسوة بالجيوش البرية ولم تخف على السلف ضرورة القوة البحرية للهجوم والدفاع والتموين والمحافظة على الملك ونجدة الاحلاف ومقاومة الاعداء .

رفع اعلام اعدائهم على مراكبهم

رفع صلاح الدين الايوبي اعلام اعدائه على اساطيله عند حصاره لعكا وتمت له الحيلة وتم له النصر (١) .

وحدث سنة ٦٦٩ هـ . ان جرت موقعة بحرية عظيمة على ما رواه ابن العيني في عقد جمانه (٢) وكان قائد الاسطول اذ ذاك ابن حسون المقدم فامر ان ترسم عي مقدم مراكبه شارات اعدائه ليشكل الامر على عدوه وهكذا كان . فانه ما كاد يقترب من العدو حتى توهم هذا ان نجدة اتته فدخل ابن حسون بمراكبه بين مراكب العدو وما ان اتخذت مراكبه استحكاماتها حتى امر بالغارة فابتدأت المعركة ودار القتال وخرج من هذه المعركة بفضل هذه الحيلة سالماً منتصراً .

طلاء المراكب بألوان مراكب العدو

وكان ابن حسون قبل معاركه البحرية يأمر ان تطلى جميع مراكبه بلون مراكب عدوه للحيلة والخداع وكثيراً ما كانت تنجح عنده هذه الخطط وهذه المناورات (٣) .

حراسة الاساطيل لمراكب المؤن والذخائر

ومما يظنه الناس انه من مبتكرات خطط اليوم مواكبة الاساطيل لبواخر الذخيرة والمؤن والعتاد . فالاقدمون لم يغفلوا عن ذلك وكانوا يواكبون المراكب الحاملة والمؤن والذخيرة لتحميهم من مداهمة الاعداء . وقد حدث في اوائل القرن السابع للهجرة مواقع حربية هائلة على شاطيء بحرنا هذا . وقد وصف المؤرخون هذه الحوادث والوقائع بمجلدات عديدة ضخمة ومما ذكروا من تفاصيل هذه الحوادث ان الاساطيل كانت تحمي مراكب المؤن والذخائر ومنها انه كان سنة ٦١٤ هـ . لاحدى الدول المتحاربة مركب عظيم اسمه « مرمة » فقد مخر بالبحر آتياً بالمؤن والذخائر لجيوشه وكانت الاساطيل تواكب هذا المركب الذي قال عنه محمد بن الشيباني المعروف بابن الاثير « انه كان من اعظم المراكب وكان يمخر البحر وتحيط به السفن والشواني والحراقات لتحميه (٤) من مباغتات العدو وهجوم اساطيله . »

مرافقة الاساطيل للجيوش البرية وحمايتها

وكانت الاساطيل دائماً عوناً للجيوش البرية تمدها في نقلها وتموينها ونجدتها حتى انها كانت ترافق بحراً جيوشها الزاحفة على الشواطيء كما تفعل الاساطيل اليوم لتحميها من مهاجمة العدو في البر وتساعدها من البحر وتشترك معها في مقاتلته كما يجري في زماننا هذا .

وقد جاء في كتاب العبر (٥) انه كانت الاساطيل ترافق الجيوش الزاحفة على الشواطيء حفظاً لها من مداهمة العدو ومساعدتها وتموينها او لنجدتها اذا ارادت الانسحاب فتكون جاهزة لانزالهم من البر الى البحر وانقاذهم من عدوهم المنتصر والرجوع بهم الى معسكراتهم سالمين (٦) .

وفي موقعة قيسارية يقول المؤرخ القاضي ابن تيم ان الجيوش البرية كانت تسير سيراً رفيقاً ومراكبهم تسير مقابلتهم في البحر لتحميهم وتكون لهم عوناً عند الحاجة مما يحتاجون اليه (٧)

اغراق المراكب حتى لا تقع بيد العدو

روى بدر الدين العيني في كتابه عقد الجمان ان المتحاربين في سنة ٦٧٤ هـ كانوا اذا ايقنوا انهم خاسرون الموقعة وانهم

(١) راجع مجلة الاديب عدد ايلول ١٩٤٤ صفحة ٢٦ و R. des Historiens Orientaux T. II, 1ère p.p. 29 والكامل لابن الاثير طبع باريس ص ٢٩

(٢) ابن العيني عقد الجمان ص ٢٤٠

(٣) عقد الجمان ص ٢٤٠

(٤) ابن الاثير طبع باريس ص ١٢٣

(٥) ابن خلدون كتاب العبر ج ٥ ص ٣١٣

(٦) ابن الاثير ج ١٢ ص ١٦

(٧) النوادر السلطانية ص ٢٥٢

لا قبل لهم على مقاومة اعدائهم لجأوا الى اغراق مراكبهم حتى لا تقع بيد العدو (٨)

وجاء في كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية : انه تكاثر العدو على الاسطول القادم من بيروت فقام مقدمه يعقوب الحلبي وكان رجلا شجاعاً مجرباً في الحروب ولما رأى بوادر الغلبة وسوء المصير عليهم قال : والله لا نقتل الا عن عز ولا نسلم من هذا المركب شيئاً فوقعوا في المركب من جوانبه بالمعاول يهدمونه حتى فتحوه من جانب ابواباً فامتلأ ماء وغرق من فيه وما فيه من مقاتلين ومؤن واسلحة وعتاد (٩) .

وكذلك كانوا يأخذون الحيطة لكل شيء وكانوا اذا اضطروا الى الانسحاب لا يتركون للعدو اي شيء يستفيد منه من ذخائر وعتاد . ومن ذلك ان في سنة ٥٠٢ هـ اضطر جيش ان يرحل عن صور فانه لم يترك البلدة الا بعد ان احرق جميع ما كان له من المراكب على الساحل والاخشاب والعماير والعلوفات وغيرها (١١) ، ولم يجهلوا خطة اغراق مراكبهم في الخلجان والمواني لمنع دخول اسطول العدو وعرقلة مروره ، وقد جاء ان المعارك اشتدت يوماً على الملك الكامل ابن الملك العادل سنة ٦١٤ هـ فخشي ان تدخل مراكب العدو بلاده فأمر ان تجهز عدة مراكب كبار وان تملأ اثقالا وخرقها واغرقها في عبر النيل (١٢) فجاء العدو باساطيله ورأى ما رأى من سد لمجرى النهر فلم يتمكن من متابعة دخوله فرجع آسفاً .

الزحف براً وبحراً على بلد

لم تخف على الاقدمين خطة الزحف براً وبحراً في آن واحد على بلد يريدون احتلاله ، وقد جاء في مرآة الزمان ان جيشاً زحف في اربعين مركباً الى بيروت وانزل جيوشاً في بعض سواحلها واشترك الزحف براً وبحراً ودخلوها قهراً وامعنوا في اهاليها السيف والقتل وذلك سنة ٥٠٣ هـ (١٣) .

الاسطول يموّن البلاد الجائعة

وبذلك نرى ان الاسطول لم تقتصر مهمته على الفتك والفتح والهجوم والدفاع بل ايضاً كان يؤدي رسالة انسانية ويساعد المحتاج والضعيف . وقد جاء في كتاب مرآة الزمان لسبط « ابن الجوزي » المتوفي ١٠٦٥٤ يلي : وكان الاسطول يشحن للبلدان الجائعة الاغلال والمؤن والمتاع فترخص الاسعار (١٤) .

عمل الاساطيل من قطع تركب عند الحاجة

وكثيراً ما روت لنا التواريخ عن صنع قطع الاساطيل في البلدان النائية عن البحر والاحتفاظ بها الى وقت الحاجة . وهذا ما عمله صاحب الكرك فانه صنع قطع اسطوله وفرغ منها في عاصمة بلاده ولم يبق الا جمعها بعضاً الى بعض وحملها الى البحر . وعند وصوله الى البحر جمع القطع وسير اسطولا ضخما هاجم به بلاداً عديدة تم له النصر في اكثرها . (١٥)

مفاجأة العدو بانزال مراكب في موانيه وبحره

وكثيراً ما كان المتحاربون يلجأون الى المفاجآت البحرية في حروبهم اذ انهم يباغتون عدوهم بانزال مراكب في موانيه وبحره ومرافئه من ذلك ما رواه ابن الاثير في تاريخه من ان اسطولا كان مصنوعاً من القطع ركبت اجهزته سراً على شواطيء بلاد اريد غزوها فسار البحارة باسطولهم نحو عيذاب وعاثوا فساداً في السواحل ونهبوا واخذوا ما وجدوا من الناس في بلادهم على حين غفلة منهم . فانهم لم يعهدوا بهذا البحر لعدوهم لا تاجراً ولا محارباً وهكذا تم لهم بفضل حيلهم الحربية من النصر ما يشتهون (١٦)

نور الدين بيهم

(٨) عقد الجمان ص ٢٠٩

(٩) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ص ١٢ والنوادر السلطانية للقاضي ابي المحاسن ص ٢٢١

(١١) النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة لابي المحاسن يوسف بن تغري المتوفي سنة ٨٧٤ وهو تلميذ المؤرخ المقريزي . راجع النجوم ص ٤٩٢ طبع باريس

(١٢) Recueil des Historiens Orientaux .T. II, 1ère p. p, 115. Imp. Nat. 1887. Paris

(١٣) مرآة الزمان ص٥٣٩

(١٤) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لابن الجوزي ٥٤٧ Recueil des Htstoriens Orientaux. T. II. p. 115. Imp. Nat. 1887. Paris

(١٥) الكامل لابن الاثير ج ١١ ص ٢٢١

(١٦) ابن الاثير ج ١١ ص ٢٢١

مع لبنــــــان

« تتحدث اليّ الطبيعة بالصور فتجيبها روحي بالاغاني »
راباندرانات طاغور

✯

ذكرتكِ والقلبُ نهبُ الفتونِ ... رهينُ الرّؤى الحلوةِ الوافيهْ
و « لبنان » يسبحُ في نشوةٍ ... من السحر والحب والعـافيه
توشح بالعبق المستطـاب ... وغلغل في البهجة الضافيه
ونام على شرفات الغـمام ... وطافت به الخضرة الحاليه
تناثر فوق الروابي قراهُ ... كما تتناثر آماليــه
على كل مائسة صادحٌ ... وفي كل وارفة شاديه
وتصغي الوهــاد الى قصة ... من الحب تسردهـا الساقيه
وقد انصت الكون الا صدًى ... يردّد أنشودة الراعيه
تطلّع في زهوهـا الراسيات ... حنيناً الى عودة الشـاغيه
ونمّ على الدرب سحر الغنـاء ... فأغفى على النغمة الشاجيه
وظل المساء يحوم عليــه ... ويرعاه بالمقـلة الرانيه

✯

وفي خلوة الحقـل نبع حبيبٌ ... يهدهد اوجـاعه الباكيه
كأنّ على النبع قيثـارةً ... تنوح ملوعةً شاكيه
و « بيروت » نائمةٌ في السفوح ... تتمم احلامهـا الزاهيه
ترامت على البحر مأخوذةً ... تناجيه حانية صابيه

✯

رأيتك « لبنــاني » المشتهى ... وجنته اللــذة الشافيه
وأبصرتُ وجهك يطفو عليه ... ويغمر ارجاءه النائيه
فغابت مسارحه الغالياتُ ... ولم يبق غيرك يا « غاليه »

دمشق ... انور العطار

الزمـان الوجودي

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

★

والمقولات (*) تفضي بدورها الى وضع منطق جديد ، يقوم على نفس المبدأ ، مبدأ التوتر . فنحن نرفض مبدأ عدم التناقض الذي يقوم عليه المنطق العقلي ، لانه لا يعبر عن حقيقة الوجود الواقعي ، هذا الوجود الذي يقوم على التناقض والتمزق والجمع بين الاضداد ، فمن الواضح ان هذا المبدأ قد اخفق في كل ما يدخله الزمان ، فلم ينجح الا في العلوم العارية عن الزمان ، وهي الرياضيات ، وهي التي يميل المنطق العقلي ، كما هو طبيعي ، الى التشبه بها اليوم .

وليس المجال هنا مجال تفصيل هذا المنطق الجديد ، الذي نسميه منطق التوتر ، في مقابل منطق اتفاق الفكر مع نفسه ، وما هي اقسامه ، وكيف يدرك على اساسه الوجود الذاتي ، وما لهذا من نتائج على اعظم جانب من الخطر فيما يتصل بالكشف عن هذا الوجود انما نجتزىء هنا بذكر الاصول العامة التي يقوم عليها .

واولها ان الزمان يجب ان يكون داخلاً في التقويم المنطقي للحقيقة الوجودية ، وبالتالي يجب ان ندخل العدم الى جانب الوجود في كل موضوع منطقي ، واتحاد الوجود واللاوجود في موضوع واحد هو ما نسميه باسم التوتر . والتوتر اذن هو طابع الوجود الذاتي . ولذا كان منطق هذا الوجود منطق التوتر .

والتوتر اذن نقيض الهوية ، لان هذه تنشد المتساوي والمؤتلف ، والتوتر ينشد اللامتساوي والمختلف ، ذلك ان منطق الهوية يميل الى جعل الصلة بين الموضوع والمحمول صلة مساواة او ما يقرب منها ، مما وجد صورته العليا في المنطق الرياضي .

والنتائج لهذا عديدة ، واولها في نظرية الحمل ، فعندنا ان الحمل ليس معناه اضافة محمول الى موضوع ، اذ الوجود او الصفة الوجودية ليست مجموعة مقادير يضاف بعضها الى بعض ليتكون منها شيء ، والا لكان في ذلك اوهام عدة : اولهـا ان الجمع لا يتم الا بين وحدات من نوع واحد ، ونحن هنا نجمع مقادير من انواع مختلفة : فالحيوانية غير النطق من حيث النوع ، وثانيها ان الجمع لا يتكون عنه شيء جديـد ، بينما نحن نرى الانسان يختلف في جوهره عن الحيوان وعن النطق . فالحكم اذن ليس عملية جمع . انما هو تعبير عن حال واحدة يلبسها الوجود دفعة واحدة ، هو وحدة من الوجود واللاوجود لا تقبل التجزئة بحال .

والحمل هو التحقق منظوراً اليـه من ناحية القول او اللوغوس ، ولما كان التحقق يدل على خلق ، فالحمل يدل على خلق ، وبالتالي يتضمن الجدة .

وبفكرة الجدة هذه نستطيع ان ننقذ المنطق من تحصيل الحاصل الذي تردّى فيـه حتى الان ، اذ التوتر يدل على التحقق ، والتحقق فعل ، والفعل خلق ، وبالتالي يدل على جدة .

وعلينا اذن ان نلغي مبدأ المنطق التقليدي كله ، وهو : اتفاق الفكر مع نفسه ، ونستبدل بهذا المبدأ ، الا وهو : توتر الوجود مع ذاته الخالقة باستمرار .

وتبعاً لهذا نحن نقسم الاحكام الى قسمين : احكام وجودية ، واحكام هُوِيّة . الاخيرة هي القائمة على مبدأ الهوية ، وليس فيها جدة ، ولا قيمة لها من الناحية الوجودية ، بل كل قيمتها من الناحية اللغوية او العقلية ، لانها نوع من التحليل . اما الاحكام الوجودية فهي المعبرة عن واقع او حال يكون فيها الوجود دفعة واحدة .

وعلينا بعد هذا ان نقسم الاحكام من حيث « الزمانية » ، بدلا من تقسيمها كما في المنطق العقلي من حيث الجهة . فعلينا ان نقسمها من حيث الزمانية الى : احكام حضور ، ومضي ، واستقبال . ولا بد من تعيين الزمانية في كل حكم ، والا كان ناقصا ، فـلا معنى لقولي : سقراط فان ، اذا لم اتبعـه بقولي : حاضراً ، او ماضياً ، او مستقبلاً . وهذه الزمانية ملحوظة في كل حكم ، وان لم تكن دائماً ملفوظة .

والصلة بين الموضوع والمحمول ليست صلة تداخل او تضمن او اضافة ، بل هي عندنا صلة وحدة متوترة تمثل حالا واحدة الوجود . فالصلة بين سقراط وفان في المثال السابق صلة حال وجودية فيهـا سقراط كموجود متصف بها ، واتصافه بها ليس زائداً على ذاته ، بل صفته من عين ماهيته

اما تقسيم القضية من حيث الكم فلا يعني الاحكام الوجودية في شيء ، لان هذه لا تنظر الى المحمول ، او الموضوع على انه ذو كم . ولكن الامر على غير هذا بالنسبة الى التقسيم الثالث للاحكام ، اعني من حيث الكيف . فان فكرة السلب فكرة رئيسية في شرح الوجود ، وهي التعبير العقلي عن العدم الذي قلنا عنه انه عنصر

(*) راجع عددي ايلول وتشرين الاول ١٩٤٤ من الاديب .

جوهري مقوم للوجود منذ كينونته . ولكننا نختلف في فهمه عن المنطق التقليدي . فان منطق التوتر يفهمه على ان كل موجود تنقصة امكانيات لم تتحقق، وهذا النقص يعبر عنه بحكم سلبي .

والسلب نوعان : مطلق هو الدال على استحالة الوصف بالنسبة الى الوجود الماهوي للذات المعينة ، وسلب مقيد هو الدال على الامكانية غير المتحققة وهذا الاخير هو الجدير بالعناية حقاً .

والسلب عندنا له نفس المرتبة التي للايجاب، فلا يدرك احدهما بدون الاخر ، لان المتقابلات تكون وحدات لا انفصام لها .

ويمتد اثر هذه النتائج الى كل مسائل المنطق ، مما ينتهي الى وضع منطق جديد شامل يستطيع الكشف عن حقيقة الوجود .

والعامل الرئيسي في تكوينه هو ادخال الزمان في كل مسائله .

فبادخال الزمانية في المنطق ندخل التوتر والخلق ، والتوتر لانه الجمع بين السلب والايجاب ، والسلب معناه الوجودي العدم ، والعدم مصدره التناهي ، والتناهي اصل الزمان ، فالسلب ناشيء اذن عن الزمان ، والعدم ايضاً شرط التحقق في الوجود ، لان التعين لا يتم الا بالسلب والتحديد ، وهذا هو العدم . اما الخلق فلان الزمان اصل العدم ، والعدم شرط الوجود .

وهنا نصل الى النقطة الحاسمة في مذهبنا الوجودي ، وهي فكرة العدم .

فالناس قد ادركوا من قديم الزمان ان العدم معقد الصلة بين الزمان وبين الخلق ، وان كانوا فهموا المسألة على انحاء مختلفة كل الاختلاف يمكن مع ذلك ان ترد في النهاية الى اثنتين : النظرة الفلسفية والنظرة الدينية . والنظرة الاولى تحاول استبعاد فكرة العدم ، لذا لم تعن بتحليل مضمونه كثيراً ، وفهمته خصوصاً بمعنى السلب في المنطق العقلي ، وعنى به برجسون من اجل الغاء فكرته .

ويلاحظ على كلامه هنا انه لا يزال ينظر اليه بمعنى السلب العقلي ، اذ يقول ان يأتي بنوع من التجريد المستمر ، ولكن هذا غير صحيح ، لانني في حالة القلق الصادر خصوصاً عن فكرة موتي الخاص ، الشعر بزوال الوجود دفعة واحدة ، والعدم كما قلنا ليس تصوراً عقلياً ، بل هو شيء يقتضيه مجرد الوجود العيني ، نظراً الى نبذ امكانيات واخذ اخرى . ويتمشى مع مذهب برجسون الفاسد في العدم مذهبه في الامكان . مما ادى الى اخفاقه في فهم الزمان ، لان الزمان يجب ان يفهم مرتبطاً بالعدم والامكان . لكن جاء هيدجر من بعد فعني ببيان المدلول الوجودي الميتافيزيقي للعدم ، باعتباره التناهي المطلق .

اما مذهبنا نحن فهو ان القصور في فهم طبيعة العدم قد نشأ عن نفس ظاهرة الخلط التي حدثت بالنسبة الى فكرة الزمان ، اذ خلط بينه وبين الخلاء ، فتصور على نحو مكاني . والفهم الصحيح انما يأتي وفقاً للنظرية التي ادلينا بها خاصة بطبيعة الوجود . فقد قلنا ان الحقيقة الواقعية مكونة على هيئة انفصال ، والوجود اذن مكون من وحدات منفصلة بينها هوات لا يمكن عبورها الا بالطفرة . فنقول الان ان هذه الهوات هي العدم نفسه في وجوده الموضوعي . ولا يجب ان يفهم من هذه الهوات انها خلاء ، فنحن لا نعرف شيئاً اسمه الخلاء بالمعنى العادي المفهوم . فالهوات الموجودة بين الذرات في الوجود الفزيائي تناظر هاهنا الهوات الموجودة بين الذوات في الوجود الذاتي . ولما كانت هذه الهوات بين الذوات هي الاصل في الفردية ، ففي وسعنا ان نقول ان العدم هو الاصل في الفردية ولما كانت الذاتية او الفردية تقتضي الحرية ، كنتيجة لها ضرورية ففي وسعنا ايضاً ان نقول ان العدم هو الاصل في الحرية .

وفكرة العدم مفهومة على هذا النحو من شأنها ان تحل الاشكالات التي اثيرت حوله دون جدوى حتى الان ، كما انها فكرة خصبة في وسعنا ان نفسر بها سر الوجود كله .

فهي تضمن لنا اولا ان العدم عنصر جوهري مكون للوجود والعدم والوجود يكونان معا نسيج الواقع ، وليس منهما من يسبق الاخر زمانا او رتبة او علية .

وهي ثانياً تضفي هالة من النور على كل الافكار التي ادلينا بها حتى الان : فالعدم كما رأينا هو الاصل في الفردية او العكس ، وفكرة الحرية تقوم على فكرة الفردية ، وفكرة التوتر مصدرها ايضاً فكرة العدم ، لان التوتر لا يتحقق كما قلنا الا من مزيج من الوجود واللاوجود اي العدم ، واخيراً نجد ان فكرة الامكان مصدرها فكرة العدم ، لان الامكان اصل الفعل ، والفعل لا يتم الا بطفرة الذات في الغير ، وهي طفرة لا تقوم بها الذات الا لان ثمة عدماً . ومن هنا نرى ان الافكار الرئيسية الموجهة لنا في مذهبنا الوجودي ، وهي الفردية والتوتر والامكان ، ترتبط كلها بالعدم اوثق ارتباط ، وكأنه اذن البؤرة التي يشع منها النور على المذهب كله .

وفي وسعنا بعد هذا ان نجيب على هذا السؤال : لماذا كان ثمة وجود ولم يكن عدم ؟ قائلين انه سؤال لا معنى له بعد . انما السؤال الجدير بالوضع بعد هو : ما العلة الفاعلية لهذا الاتحاد بين الوجود والعدم منه اجل تكوين الانية ؟

والجواب القاطع عندنا هو : انها الزمان .

فلولا الزمان لما اتحد العدم بالوجود ، وبالتالي لم تكن الانية لتتكون ، اي الوجود العيني بوجه عام . لذا كان الزمان خالقاً . ولا آنية اذن الا وهي متزمنة بالزمان . ومن هنا كان علينا ان نجد خواص الآنية في الزمان ، وهي خواص يمكن اجمالها في ثلاث : المنفصل ، والتوتر ، والامكان .

اما صفة المنفصل فتدعونا الى وصف تركيب الزمانية بالانفصال ، بمعنى ان الزمان مكون من وحدات منفصلة عن بعضها البعض . ومن الخطأ كل الخطأ القول بالاتصال في الزمان .

والسر في هذا الخطأ اعتبارات نفسية واخرى فزيائيه ، اما الفزيائيه فهي تصور الحركة تصويراً امكانياً ، ولما كان الزمان مقدار الحركة ، فلا بد ان يصور على غرارها ، وهي تقتضي التماس ، فلا بد ان يكون في الزمان اتصال . ومن العجب الذي يستنفد كل عجب ان يعرّف الزمان مع هذا بانه « عدد » الحركة ، مع ان العدد هو الكم المنفصل اي هو المنفصل بعينــه . وفضلا عن هذا فان الفزياء المعاصرة لم تعد تقول بالاتصال ، فلا يمكن ان تقوم فكرة الاتصال في الزمان اذن على اعتبارات فزيائية .

أما الاعتبارات النفسانية فترجع الى فكرة الذاكرة ، اذ قال برجسون ان الذاكرة ملكة كلية قبيلة تربط بين الافعال في الشعور بطريقة متصلة ، وفرّق بين الذاكرة كعادته ، والذاكرة الحقيقية التي تصور تياراً متصلًا . غير ان هذا التصوير لوظيفة الذاكرة غير صحيح ، فقد اثبت بييرجانيه ان الذاكرة ترجع الى الفصل المؤجل ، ومعنى تأجيل الفعل ، حدوث انقطاع في تيار الشعور ، والذكرى الخالصة التي يقول بها برجسون لا اساس لها . والواقـــع ان نظرية برجسون في الذاكرة انما تقوم على نظريته في المـــدة ولا تقوم على الوقائع النفسية وفي هذا دور ظاهر فالاعتبارات النفسية هي الاخرى لا تسمح لنا ايضاً بهذا التصوير للزمان على انه متصل .

والسؤال الذي يجب علينــا ان نضعه بعد ، هو : اذا كان الزمان على هـــذا النحو ، فكيف نفرق فيه بين ماض وحاضر ومستقبل ؟ والجواب عليه يرتد بنا الى نظرية الوجود ، فقد قلنا ان الاصل هو الوجود الماهوي ، وهو ينتقل الى حال الآنية بواسطة دخول الزمان فيه وهذه العملية تتضمن ثلاثة ادوار : الامكان ، والفعل ، والتحقق بالفعل . اما الامكان فمعناه ان الوجود الذاتي في حالة اضمار وتصميم لما يمكن ان يكون عليه ، وهو سابق على الواقع بالضرورة لا كما يزعم برجسون ، والفعل يمثل دور جريان التحقيق للممكن ، اي يدل على شيء يجري حدوثه ، اي يدل على الحضور المباشر ، اما بعد التنفيذ فاننـــا نكون بازاء الفعل وقد تحقق ، اي بازاء شيء قد كان . فهذه العملية تتضمن اذن : الفعل باعتباره ممكناً « سيكون » ، والفعل باعتباره حادثاً يجري كائناً ، والفعل باعتباره شيئاً « قد كان » « وسيكون » معناها المستقبل « وقد كان » معناها الماضي ، « وكائن » معناها الحاضر . وبهذا المعنى نفرق في الزمان بين ماض وحاضر ومستقبل . فانات الزمان الثلاثة ذوات معان وجودية خالصة .

ولو عدنا الان الى لوحة المقولات لاستطعنا ان نفهم لماذا ارتبطت كل مقولة بحالة زمانيه .

وما دام كل وجود فعلا ، ومـــا دام كل فعل يقتضي التزمن بالزمان ، فكل وجود متزمن بالزمان .

اما وضع السرمدية في مقابل الزمان فوهم لا مبرر له . اذ لا وجود الا مع الفعل ، ولا فعل الا مع الامكان ، ولا امكان الا افعل ، ولا فعل الا وينتهي الى تحقيق شيء فعلا ، والامكان ، والفعل ابان التحقق ، والتحقق فعلا هي كما رأينا آنات الزمان . فلا وجود اذن الا بالزمان . وكل وجود يتصور خارج الزمـــان هو وجود موهوم . ومصدر القول به محاولة الانسان القضاء على الجزع من الزمان — وهي محاولة لا صلة لها بحقيقة الوجود الحي . وعلينا ان نتجنبها . فكل احالة الى وجود غير زماني ، احالة الى اللاشيء .

وجود او لا وجود ، تلك هي المسألة هنا ايضاً .

فان كان وجود ، فلا بد من الزمان ، اما بدون الزمان ، فليس ثمة وجود . ولا واسطة بينهما .

اما عن الاولية بين آنات الزمان ، فالرأي بازائها قد اتسم كما هو طبيعي الى ثلاثة مذاهب : مذهب يقول بفكرة الحاضر السرمدي ، ولذا يجعل الاولية والاولوية معاً للحاضر ، ومـــذهب يجعلهما للماضي واليه ينتسب المؤرخون واصحاب النزعة التاريخية بوجه عام ، ومذهب يجعلهما المستقبل ، ويمثله اصحاب النزعة الدينية ، خصوصاً كير كجورد وهيدجر .

اما نحن فلا نذهب الى القول بتفضيل آن على آن ، بل نؤكد وحدة الانات الثلاثة وحدة تامة في تكوينها الزمانية الاصليـــة الحقيقية . اما الزمانية الزائفة فهي تلك التي تتعلق باحد هذه الانات دون الاخر . ذلك ان فكرة التوتر في الوجود تقضي علينا بهذا .

ومن هذا البيان بطبيعة الزمان قـــد انتهينا الى الكشف عن حقيقتين رئيسيتين الاولى ان لا وجود الا مع الزمان وبالزمان ، وان

ابتهال

عن الشاعر الانكليزي « شللي »

تعالي ، واجلسي بقربي لنرتشف كأس السعادة — يا ملاكي طيف كئيب ! وخيال ساهم .

عروس مدللة صموت ، حزينة في ثياب التيه والخيلاء

تعالي ، تعالي واجلسي بجانبي : يا ذات الجبين الوضاح الذي غضنته الويلات والهموم . . .

ومهما بدوت لك بائساً شقياً معذباً

فانني اسعد منك بكثير !

ويلاه ! لقد عرف كل منا الآخر ، كما يعرف الاخ اخته.

وعشنا في بيت واحد ناء بعيد سنين عديدة — ليتها لا زالت تمر مع الزمن .

يا له من حظ عاثر !. . فاذا كان الحب يحيا بعد موت النعيم وافراحه . . لنأخذ اروع ما فيه . . ويحب كل منا الآخر ، فنرى الفردوس في نيران قلبينا .

أقبلي لنرتشف كأس السعادة . . واضطجعي بجانبي فوق الحشائش المتعانقة حيث الجنادب الصغيرة ترتل اغانيها .

انه لشيء جميل مفرح في هذا العالم الشاحب الكئيب !

هناك ! ستكون خيمتنا في ظلال الصفصاف حيث اوسدك ذراعي . وتهدأ الاصوات المحزنة ويفوح اريج الازاهير ! وعندما تأخذنا سنة عميقة من النوم — نذوق طعم السعادة — لاول مرة .

آه ! ان نبضات قلبك تخفق بحب لا يجرأ على الكلام

عندما تهمسين او تبكين !

أويكون قلبك قد استيقظ، بينما قلبي لا يزال غارقاً في نومه !؟

قبليني . . . آه — فشفتاك باردتان !

طوقيني . . . فذراعاك يبعثان قشعريرة الموت في جسمي !

ودموعك المنهملة فوق رأسي . . اشبه ما تكون بقطرات رصاصية متجمدة ! ؟ . . .

أسرعي ! أسرعي ! الى فراش العرس الذي سينتثر في اعماق القبر ! فيختفي حبنا في الظلام ويتوارى، وننسى كل شيء

ثم نبقى . . نبقى ولا احد يمنعنا ! ؟

احتضنيني . . لينمو فؤادانا كخيال مزدوج ، — ولتتوارى الاوهام وتتلاشى كالسراب — في نومنا الابدي .

وسنرى في احلامنا الطافحة بالهناء والنعيم اننـا لسنا ذينك اللذين بكيا وناحا !

فلنفرح ولننعم بشبابنا وهنائنا الروحي في ظلال هذه الارض !

لا !! اننا لا نكفن احلامنا وآمالنا ونشيعها الى القبر ، فنكون كالكلاب التي تنبح على الغيوم التي تحجب ضوء القمر .

العالم الواسع بكامله — أمامنا — يبدو كعدو هائل من الدمى المارة في منظر ما !!

فأي هزؤ يعنون — واين انا ؟ ! اين انت ؟ !!

الحلة — العراق ترجمة : مرتضى شرارة

كل موجود لا بد متزمن بالزمان ، وتلك هي ما نسميه تاريخيـة الوجود . والثانية ان كل آن من آنات الزمان مكيف بطابع ارادي عاطفي خاص ، فالزمانية اذن كيفية . وهاتان الحقيقتان معاً هما ما نعبر عنه بقولنا ان الوجود ذو تاريخية كيفية .

تلك هي الخطوط العامة لمذهب في الوجود جديد سنجعل مهمتنا في الحياة تفصيل اجزائه حتى نستطيع ان نحقق للانسان هذه الغاية التي قلنا انها غاية الموجود .

القاهرة عبد الرحمن بدوي

القضية الفلسطينيـــــــة

بقلم امين محمد ابو عز الدين

يعود تاريخ نشوء الحركة الصهيونية السياسية الى اواخر القرن الماضي، لكن مساعي زعماء هذه الحركة للفوز بتأييد الدول الكبرى لمشروع انشاء وطن قومي بفلسطين قد نشطت في اوائل الحرب العالمية الماضية . والمعروف ان تلك المساعي بذلت في آن واحد لدى الفريقين المتحاربين اي دول الحلفاء والدول الوسطى — المانيا ، تركيا ، النمسا — وكانت برلين المركز الرئيسي للحركة الصهيونية في العالم وقد سعوا بالفعل للحصول على مثل تصريح بلفور من الدول الوسطى علّ النصر يكون حليفها ، لكن عندما تبين ان كفة الحلفاء هي الراجحة وجه زعماء الصهيونية جل سعيهم نحو الدول الحليفة وكان عليهم ان يفوزوا بتأييـد فرنسا والولايات المتحدة بالاضافة الى تأييد بريطانيا التي صدر عنها التصريح فيما بعد .

— *تصريح بلفور* —

كانت المساعي التي بذلها الصهيونيون في فرنسا لا تلقى اذاناً صاغية في بادىء الامر نظراً لمعارضة جماعات نافذة هناك في الدوائر المالية والسياسية وغيرها من المقامات الدينية . لكن زعماء الصهيونية لم يغلب عليهم اليأس بل ما انفكوا يواصلون سعيهم مستعملين شتى وسائلهم ونفوذهم فنالوا في آخر الامر وعداً من الحكومـة الفرنسية بقبولها لفكرة اصدار تصريح في صالح اليهود .

اما في الولايات المتحدة فكانت الظروف اكثر ملائمة وقـد ساعدهم المستر براندیس «Brandeis» اليهودي الاصل ومن قضاة المحكمة العليا الاميركية باستعمال ما له من نفوذ كبير لدى الرئيس ولسن فاقنعه بالموافقة على شروط التصريح المطلوب

وفي انكلترا ان فريقاً من اليهود انفسهم كان يعارض معارضة شديدة في انشاء دولة يهودية بفلسطين . وفي مقدمة حججهم ان ذلك يثير حقد العرب كما انه يجعل سائر اليهود الضاربين في كل معمور غرباء في البلاد التي يقيمون فيها ولا تعود تلك البـلاد تعدهم من رعاياها . ويمكن القول ان حوادث الايام قد برهنت صحة مـا ذهب اليه هذا الفريق من يهود انكلترا فان نشاط الحركة الصهيونية في السنوات التي تلت الحرب العالمية الاولى كان في مقدمة العوامل النفسية التي ادّت الى نموّ البغض في اوربا والوسطى للشعوب السامية .

وفي الوزارة البريطانية حصل اولا خلاف في وجهة النظر بين فريق من اعضائها يضاف الى ذلك ما كان يبدو من معارضة شديدة لهذا التصريح من جانب المستر ادوين مُنتاجو «Edwin Montagu» — وزير الهند والعضو اليهودي في تلك الوزارة — غير ان زعمـاء الصهيونية ما فتئوا يضاعفون سعيهم دون كلل متذرعين بما لهم من النفوذ الكبير في الاسواق المالية والدوائر الحكومية وبين الشعب الانكليزي الى ان فازوا بالتصريح المنشود .

قيمة تصريح بلفور — ان الغريب في هذا التصريح انه كان من جملة ما ورد في رسالة شخصية بعثها المستر بلفور وزير خارجية بريطانيا في ذلك الحين واستهلها بكلمات «عزيزي اللورد روتشيلد» وقـد صدرت عن مكتب وزارة الخارجية في ٢ تشرين الثاني — نوفمبر — عام ١٩١٧ وعرفت فيما بعد بوعد بلفور[١] . وهـذه ترجمة ما جاء في الرسالة المذكورة من الاسطر المتضمنة لتصريح بلفور :

« ان حكومة جلالته تنظر بعطف نحو انشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وستستخدم افضل جهودها لتسهيل اتمام هذا الغرض ، وليكن مفهوماً بصورة واضحة ان لا شيء سيعمل به مما يجحف بالحقوق المـدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين او الحقوق والحال السياسية التي يتمتع بهـا اليهود في اي بلاد أخرى . . . »

لقد صدر هذا التصريح في وقت لم تكن فيه بريطانيا العظمى صاحبة حق سياسي او حق فتح في فلسطين لان تصريح بلفور صدر قبل ان يتم للانكليز فتح فلسطين[٢] كما ان حق الفتح بعد ان تم

(١) Balfour Declaration يقابلها بالعربية تصريح بلفور وهو اقرب الى المعنى المقصود من وعد بلفور الشائع استعماله عند بعض الناس .

(٢) يوم تصريح بلفور لم تكن الجيوش الانكليزية قد احتلت سوى القسم الجنوبي من فلسطين وقد سقطت القدس في ٩ كانون الاول ١٩١٧

كان يشاركهم فيه العرب[١] فضلا عن حقهم السياسي الذي ضمنته انكلترا نفسها قبل ذلك التاريخ . ولما تم فتح فلسطين والبلاد السورية اذاع اللورد اللنبي بيانا بتاريخ ٧ تشرين الثاني – نوفمبر – ١٩١٨ جاء فيه : « ان الغاية التي رمى اليها الحلفاء من خوض غمار الحرب في الشرق هي تحرير الشعوب التي تحت حكم الاتراك وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم وانه ليس لبريطانيا العظمى ولا لفرنسا اي قصد من وضع انظمة خاصة لحكومات هذه الاقطار . »

واذا نظرنا من ناحية اخرى الى هذا التصريح رأيناه يحتوي على شقين متناقضين يستحيل التوفيق بينهما : – الاول يعد اليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، والثاني يؤمن للطوائف غير اليهودية حقوقها المدنية والدينية . فاذا كانت الحكومة البريطانية والصهيونية السياسية تعتقدان ان من مقتضيات تصريح بلفور « تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين ووضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي » كما جاء في المادة الثانية من صك الانتداب الخاص بفلسطين ، فكيف يمكن التوفيق بين ما وعدوا به اليهود في هذا التصريح وبين الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية التي تعهدوا بالتصريح نفسه بصيانتها ايضا .

وعهد عصبة الامم الصادر عن مؤتمر الصلح ١٩١٩ والذي جاء بعد تصريح بلفور قد ورد في المادة ٢٢ منه مبدأ الاعتراف باستقلال البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية . والمادة ٢٠ منه تقول بالغاء جميع المعاهدات والالتزامات السابقة والمناقضة لمبادئ هذا العهد . وعلى اثر ذلك حضرت لجنة « كنج – كراين » الاميركية وكانت نتيجة استفتائها بفلسطين اجماع سكانها على رفض السياسة الصهيونية رفضاً باتا

منزلة التصريح من حقوق العرب والوعود المقطوعة لهم

يلوح للباحث ان الحكومة البريطانية او على الاقل بعض اعضاء وزارة لويد جورج اثناء الحرب الماضية كان ينقصه شيء من الادراك لحق العرب الطبيعي في فلسطين وان مساحة تلك البلاد لا تتسع لاكثر من سكانها والزيادة في عددهم على مرّ السنين . وكثيراً ما كان مثل هذا النقص في الادراك سبباً لنشوء ارتباكات دولية . فقد صدر تصريح بلفور في ٢ تشرين الثاني – نوفمبر ١٩١٧

(١) راجع مجلة الاديب شهر تشرين الاول ١٩٤٤ صفحة ١٥

اي بعد مضي سنتين ونيف على اعتراف بريطانيا العظمى بحقوق العرب السياسية[١] (ذلك في ٢٤ تشرين الاول – اكتوبر ١٩١٥) . وبعد سبعة عشر شهراً من تاريخ اندلاع الثورة العربية في ١٠ حزيران – يونيو – ١٩١٦ حين كان العرب يعتمدون على وعد بريطانيا بتأييد استقلالهم ولديهم البراهين الكافية ان فلسطين كان يشملها هذا الوعد .

وتصريح بلفور هذا قد صدر دون استشارة العرب وموافقتهم عليه وهم اصحاب البلاد وقد ساهموا في تحريرها[٢] كما انه كتم عن الملك حسين ولم ينشر بصورة رسمية في فلسطين الا في سنة ١٩٢٠

نفوذ اليهود وضروب دعايتهم

في اللغة الانكليزية وغيرها من اللغات الاوروبية المعروفة عدد كبير من الكتب والنشرات المتنوعة عن القضية الصهيونية والانتداب البريطاني في فلسطين ولا بد للباحث اعتبار الامور التالية عند بحثه اسباب القضية الفلسطينية ومطالعته تلك الكتب والنشرات

١ – الدعاية : ان الدعاية الصهيونية على جانب عظيم من التنظيم وهي دوما ناشطة . والصحافة العالمية – واهمها في بلدان الغرب الديمقراطية – هي بجانب اليهود نظراً لنفوذهم الواسع في ميادين المال والسياسة حتى قيل ان صحافة الولايات المتحدة تكاد تكون خاضعة لنفوذهم . اما الدعاية العربية فهي بالنسبة جامدة ساذجة ، فكانت النتيجة ان العالم الخارجي في الخمس والعشرين سنة الاخيرة لم ينظر الى قضية فلسطين الا من خلال نظارات صهيونية .

٢ – حبس بعض الوثائق الرسمية : في وزارة الخارجية البريطانية وثائق خطيرة تلقي النور على قضية فلسطين وحق العرب . وكان بعض الاعضاء في مجلسي النواب واللوردات في انكلترا يطلبون بين وقت وآخر من الحكومة ان تعرض عليهم تلك الوثائق وغيرها من المقاولات التي جرت بينها وبين العرب اثناء الحرب العالمية الماضية . ولكن هذا الطلب كان لا يجاب مهما بلغ الالحاح وتبقى الامور على غموضها بينما كان اليهود يضاعفون مساعيهم لاقناع اولئك الاعضاء بوجهة نظرهم وادعائهم بفلسطين .

٣ – تمثيل اليهود : وهناك ملايين اليهود من الولايات المتحدة

(١) راجع مجلة الاديب شهر ت١ ١٩٤٤ صفحة ١٦
(٢) راجع مجلة الاديب شهر ت١ ١٩٤٤ صفحة ١٥

وانكلترا كما ان في برلمان هاتين الدولتين عدداً من الاعضاء اليهود ومنهم وزراء ايضا . وهذا وحـده كاف لعدم اهمال المطالب الصهيونية

ان هذه الامور الثلاثة المتقدمة قد ساعدت زعماء الصهيونية السياسية في سعيهم لاثارة اهتمام العالم بحركتهم واكتساب عطف الدول عليها . اما الضلال وسوء الفهم في الامور الثلاثة التالية – بسبب الدعاية الصهيونية – فقد كان لها ابعد الاثر في طمس حقائق القضية الفلسطينية ليس عن اذهان الناس فحسب بـل عن اذهان كثير من الكتاب والسياسيين حتى والموظفين المختصين الذين غالباً ما يكشفون اثناء تأديتهم لمهام وظيفتهم بصدد فلسطين عن جهل لاسباب القضية وواقع حالها . اما هذه الامور الثلاثة فنواصـل الكلام عنها تباعاً .

٤ – موقف العرب : كثيراً ما استعمل التعبير « ضـد للانكليز » و« ضد للاميركان » اثناء ما كان يدور من مناقشات وجدل حول موقف العرب من الحلفاء حتى شاع ظنّ ان العرب يبغضون في الاصل كل ما هو انكليزي واميركي .

ان بعض الظن اثم . والعرب ليسوا بمبغضين للانكليز ولا للاميركان كما تزعم الدعاية الصهيونية لكن ما يخشاه العرب من احتمال انقياد هاتين الدولتين العظيمتين الى تأييد السياسة الصهيونية في فلسطين قد زعزع ثقتهم التقليدية بعدالة الانكليز والاميركان لان العرب مصممون على مقاومة المطامع الصهيونية بفلسطين باي الوسائل حفظاً لكيانهم وبقائهم في وطنهم .

٥ – ثورات عرب فلسطين هي نتيجة لتحريض مدبر : من مساوىء الفهم الشائعة هذا الزعم ، مع ان تحقيقـات ودروس اللجان التي كانت تعينها الدولة المنتدبة بعد كل ثورة قد اثبتت بصورة لا تقبل الشك بان الاسباب التي اثارت العرب في فلسطين ترجع الى تعلقهم العميق بتربتهم وقوميتهم .

اجل ان القوى المحركة في جميع الثورات الفلسطينية لم تكن من الخارج ولا من الزعماء الوطنيين الذين كان اكثرهم اما في المعتقل او خارج البلاد ، بل من عامة الشعب – اي القرويـين والعمال والمزارعين – الذين كانوا يخاطرون بارواحهم لانقاذ بيوتهم وقراهم ومن الوهم اعتبار مصدر تلك القوى تحريض اجنبي او عربي .

٦ – المنافع المادية من وراء الهجرة اليهودية : وهذا ادعاء آخر على جانب من الخطورة والانتشار يقول ان فلسطين وسكانهـا قد استفادوا فائدة كبرى من وراء الهجرة والمشاريع اليهودية حتى ان عدداً من المفكرين تحيروا في امر نكران العرب لجميل اليهود هذا وعدم تقديرهم المنافع الاخرى التي يجنونها من وراء وجودهم بفلسطين .

قد يصدق القول في ان الرأسمال اليهودي ونزعة هـذا الشعب الانشائية قد ساعدتا في سرعة تقدم البلاد الاقتصادي – ولو كان هذا التقدم جرى على الاكثر في المناطق التي يسكنها اليهود – كما ان ما بذله اليهود من اموال طائلة لشراء الاراضي ادى الى اثراء افراد من اصحاب الاملاك العرب والى ارتفاع اجور العمال . لكن كانت النتيجة مما تقدم – وهنا يصدق القول ايضا – ان قـامت مطالب واعباء جديدة كالمناصب الاضافيـة التي تتطلبها ادارة الانتداب ، والتدابير الاستثنائية للمحافظة على الامن(١) وازدواج المعاملات الحكومية بسبب جعل اللغة العبرية لغة رسمية ، وتعيين اجور مرتفعة في مقاولات الاشغال الحكومية من اجل ان يحصل العمال على الاجور التي يطلبونها – ان هذه الامور كلها قد فرضت على فلسطين اداة حكومية ضخمة لا يمكن لبلد صغير مثلهـا ان يتحملها وقد غدا القسم الاكبر من هذه الميزانية الثقيلة موقوفاً على نفقات غير منتجة .

وكان اليهود قد صرحوا في سنة ١٩٢٣ ان فلسطين ستكتفي نفسها . وبعد عشرين سنة نرى ان هذه البلاد ما زالت تعتمد على اموال الخير والاحسان ومـا يرد بواسطة الوكالة اليهودية ومن المهاجرين العرب(٢) . ولولا حبوب البلاد العربية المجاورة لكانت فلسطين في هذه الحرب عرضة للمجاعة .

اما ما انشيء من الصناعات اليهودية قبل الحرب الحالية فيعتمد على مواد اولية مستوردة من الخارج مما دعى الى فرض رسوم جمركية واقية ادت الى ارتفاع اسعار السلع . ولا عبرة في اتساع نطاق الصناعات اليهودية في هذه الايام فان الحرب الحاضرة قـد قيدت التجارة وسبل الملاحة فزاد الطلب على مصنوعات اليهود بفلسطين . الا انه في زمن السلم لا تستطيع ان تنافس المصنوعات الاميركية والانكليزية وغيرها في اسواق فلسطين وسائر الاقطار العربية المعادية للحركة الصهيونية .

(١) الجانب الاكبر من الميزانية الفلسطينية ينفق على ادارة الامن العام وهذا ما ذهبت اليه لجنة « كن – كراين » الاميركية في تقريرها من انه يقتضي وجود خمسين الف جندي في فلسطين لتنفيذ مشروع الوطن القومي .

(٢) يرد سنوياً من الولايات المتحدة وحدها – حسب وثائق رسمية – نحو خمسة ملايين ونصف دولار الى فلسطين .

وجملة القول ان اموال اليهود والتقدم الناتج عن اعمالهم — اذا كان هناك من تقدم — لا يوازي في اعين العرب خسارة الفلاح لارضه والساكن لمسكنه ·

على اي وجه تحل القضية الفلسطينية

ان حل القضية الفلسطينية واضح امام الذين يخترقون ببصرهم حجب الدعاية وهو لا يتعدى ابسط قواعد العدل والانسانية · فليس من الانصاف ان يحل شعب غريب في ارض مسكونة ويضطر سكانها على الرحيل ليحل محلهم خصوصا وان سكان تلك الارض قد تكاملت فيهم اليقظة القومية واستحال التغلب على تعلقهم بوطنهم وقوميتهم · اما العبرة المستخرجة من الجهود والمساعي التي بذلت من اجل وضع الاساس لدولة يهودية بفلسطين فهي ان الصهيونية السياسية قد حولت هذه البلاد الوديعة المقدسة الى مسلخ للبشر · ولا يعود ذلك الى كره متأصل في العرب نحو اليهود بل لانه لا يمكن انشاء دولة يهودية في فلسطين دون اخراج اهلها العرب الذين يفضلون مواجهة الموت على تسليم ارضهم ·

لهذا دعت الحكومة البريطانية في عام ١٩٣٩ ممثلين عن العرب واليهود كما دعت سائر الدول العربية الى عقد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن لبحث القضية الفلسطينية ووضع حد لها · الا ان العرب بعد قبولهم الدعوة وشخوصهم الى لندن ابوا التسليم لليهود باي حق او مطلب في فلسطين ورفضوا الجلوس مع ممثليهم في المؤتمر · وامام هذه الحالة رأت الحكومة البريطانية ان خير ما تفعل لمعالجة الموقف هو اصدار تصريح بالخطة التي قررت انتهاجها في فلسطين وتنفيذ هذه الخطة على مسؤوليتها · وهكذا صدر التصريح البريطاني من جانب واحد وعرف فيما بعد « بالكتاب الابيض » وهو نافذ بالوقت الحاضر · اما خلاصة ما جاء فيه :

١ — ان يكون ثلث سكان فلسطين من اليهود والثلثان من العرب ·

٢ — ان يقتصر بيع الاراضي لليهود في مناطق معينة ·

٣ — ان تتوقف الهجرة اليهودية بعد ٣١ اذار ١٩٤٤

٤ — اعداد فلسطين للحكم الذاتي حتى تصبح بعد عشر سنوات من السنة المذكورة حكومة وطنية مستقلة وتربطها بانكلترا معاهدة تحالف وصداقة كالمعاهدة مع مصر والعراق ·

وهكذا ستظل فلسطين عربية ولن تكون صهيونية لان عدد اليهود فيها سوف لا يتجاوز الثلث كما انه حدد مدى مشتراهم للاراضي ·

الا ان العرب يرون اجحافاً في تطبيق الكتاب الابيض لانه يسلبهم جانباً من حقوقهم لا يريدون التنازل عنه · بينما لم يسلب اليهود سوى ما كانوا يطمعون به وليس لهم حق فيه ·

واذا كان سيفرض على العرب مواجهة الامر الواقع من حيث وجود العدد الحاضر من اليهود بفلسطين وما اقتنوه من الاراضي وكان لا بد ايضاً من اعتبار الكتاب الابيض فقد يرى من حل لقضية فلسطين في ان يكون نظام الحكم فيها ومستقبل مصيرها بالنسبة لجاراتها من الدول العربية حسب مشيئة اهلها والمصلحة العامة لسكانها الاصليين وضمن كيان دولي عربي المظهر من حيث السيادة والاستقلال على ان يعيش سكانها من اليهود الحاضرين كما يعيش غيرهم في سائر الاقطار العربية دون ان يكون لهم اي مطمع في التوسع السياسي والاقتصادي وتضمن لهم الحرية العامة لممارسة طقوسهم الدينية وعملهم التهذيبي والعلمي ·

ففي القرون الوسطى والعصر الحديث نرى تاريخ العرب خالياً من حوادث الجور والاضطهاد التي قاسى منها اليهود الامرين في مختلف الازمان ومن سائر الامم · ويشهد هذا التاريخ ايضاً ان اليهود كانوا في ذلك العهد يعيشون في بحبوحة من العيش يتمتعون بأمن واسع وعناية خاصة بجهودهم العلمي وتشجيعهم عليه من جانب الحكام العرب ، حتى وفي السنوات الاخيرة عندما كانت الثورات تشتعل بفلسطين فان الاقليات اليهودية في سائر الاقطار العربية استمرت تعيش في حال من التسامح والصداقة مع جيرانها ومواطنيها لا تقل عما هي عليه في انكلترا نفسها او الولايات المتحدة ان لم تكن من اوجه عدة اقل تعصباً مما في هاتين الامتين ·

٧ تشرين الاول سنة ١٩٤٤

العبادية — امين محمد ابو عز الدين

معارج الضلال في مجاهل اللزوميات

البحث الفائز بمباراة ابي العلاء المعري

بقلم كمال اليازجي

احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

●

اثر الغموض في اختلاف الاراء
منشأ الاختلاف
مواطن الغموض
عوامل الغموض والالتباس
غموض الموضوع
الحيرة والتجاهل
التردد وتطور الرأي
ابهام المقاصد
تمويه المعاني
التباس الجد بالتهكم
عرض الاراء والامساك عن الرأي الشخصي
التواء الاسلوب
كثرة الغريب
التباس الدلالة اللفظية
تضليل الصناعة
بعد الرموز والاشارات التاريخية
ختام القول
خلاصة عوامل الغموض
الحاجة الى نشر الديوان نشرا علمياً صحيحاً .

اثر الغموض في اختلاف الاراء

منشأ الاختلاف : اتجهت همة الكتاب في الاونة الاخيرة نحو المعري فيممت اقلامهم شطر آرائه وحوادث حياته وجالت في نواح كثيرة منها . على ان الذي يستعرض جل ما قيل فيه بشيء من النقد يتجلى له اختلاف الادباء في فهم نفسيته وتباينهم في استجلاء الغامض من افكاره وآرائه ، وعليه فقد صدرت بحقه منهم اشتات من الاحكام المتنافرة : فاذا هو بين تقى ومروق ، وايمان وتشكيك ، واضطراب وانسجام !! . وانما قال فيه كل منهم بمقدار ما عرف عنه !!!

وان نحن عدنا الى مؤلفات الرجل نستوضح الامر ربما وقعنا في حيرة اشد اذ بين اقواله — على ما يبدو — شواهد كثيرة على الامر وضده . وان حاولنا الخروج من هذه الفوضى بالرجوع الى رواة اخباره : كالصفدي والسيوطي والتبريزي والقزويني والمواهبي ، او بالاستعانة بمؤرخيه امثال الذهبي وياقوت والانباري وابن خلكان وابن العديم ، لم نجدهم اقل اختلافاً في الرجل من ادبائنا المعاصرين !!!.

وربما كان من غير المجدي ان يواصل الادباء التخبط في الاجتهاد والتكهن والامر على ما وصفناه . فلكي يكون الجهد مثمراً لا بد من تنظيم العمل اولا ، وتنظيم العمل يقتضي بحث المشكلة من اساسها . وذلك بان تتوفر الهمم على بحث اسباب الاختلاف واستجلاء اسرار الغموض واستطلاع دواعي الالتباس ، والا بقيت ابحاثنا في آراء المعري على ما هي عليه من الاضطراب والعقم .

وانا لا اعد بانني ساضطلع بهذا الامر في هذا المقال الموجز انما غايتي ان اشير الى صميم المشكلة وادعو حملة الاقلام الى معالجتها بما لهم من علم وروية وجلد ، لعل اطالة التفكير ومواصلة التنقيب وتبادل الاراء تكشف لنا عن النهج السوي وتقودنا في النهاية الى الحق الصريح .

مواطن الغموض : ولا بد لنا — بادي ذي بدء — من ان نحدد مواطن الغموض والالتباس من ديوان اللزوميات . فقد يظن البعض ان الابهام غالب عليه جملة وان التردد شائع في قصائده ومقطعاته . الا ان الانصاف يقتضينا ان نذكر ان آراء ابي العلاء جلية واضحة في الاخلاق والاجتماع والسياسة وفي جانب من الدينيات والالهيات ، فهو ينادي جهاراً بتجنب الرذائل ولزوم الفضائل ، ويدعو صراحة الى نبذ المجتمع واعتزال الناس ، ويحث كثيراً على ترك النسل واحتقار حطام الدنيا ، ويحمل حملات شديدة على رجال الادارة وزعماء السياسة وارباب الدين لانه يعتبرهم مسؤولين عن الفساد الاجتماعي الطاغي ، ويحض على الصلاح والتقوى والخضوع لله الواحد القادر على كل شيء . وانت مهما قرأت له تكاد لاتعثر على ما يعارض هذه الاتجاهات العامة . اما الغموض فجله في مسائل ما وراء الحياة ، وهي بلا ريب مشاكل تقليدية توارثتها الاجيال وتناولتها طبقات المفكرين عبر

العصور بعد ان اضفى عليها كل منهم ظلًا من لونه الخاص . وهوذا المعري يمثل هذه النزعة في هذه البقعة من ارض الله في القرن السادس للهجرة : فيتساءل عن سر الكون ، وحقيقة الفلك ، وكنه الحياة ، ومآل النفس ، وماهية الارواح ، وغاية الانسان ، ويتقصى الوسائل المأمونة الموصلة الى الحق وامثال هذه المعضلات قديمة قدم الوعي الفكري ، شغلت الفكر الحر وحيرت العقل الطليق . فغير عجيب ان يذهب المفكرون في تعليلها مذاهب شتى من الاثبات والانكار والتشكيك والتجاهل . فمواطن الغموض في آراء المعري ، كانت ولا تزال ، مسرحاً رحباً لتردد الفكر واختلاف الرأي . وسترد معنا في تضاعيف هـذا البحث شواهد كثيرة من اقوال المعري على ما بسطناه .

عوامل الغموض والالتباس *

على ان هذا الغموض الذي يبدو في جانب هام من انتاج ابي العلاء لم يكن وليد الصدف ، بل ادت اليه عوامل عديدة يتصل اهمها بطبيعة الموضوع وبظروف الشاعر واسلوبه هي :

(١) غموض الموضوع : ان موضوع ما وراء الحياة شديد الابهام ان نحن حاولنا ان نقف على كنهه بالاساليب العقلية التي ندرس بها المسائل المادية والعملية . وقد مضى انصار الهدي العقلي بعيداً في امثال هذه المحاولات لكن النتـائج التي صحت عندهم لم تقنع جمهور المفكرين . يشهد على ذلك الخلاف الواسع الذي شجر بين الفلاسفة والمتكلمين : اولئك يخضعون المدركات — على اختلافها — للعقل ، وهؤلاء يحصرون الطاقة العقلية في الامور الحسية ويستسلمون في الروحيات لهدي الايمان والحدس الباطني . وقديماً قال الامام الغزالي — حجة الاسلام — : « العلم يستند الى العقل والدين ينبجس من القلب » [(١)]. فالموضوع في نفسه شديد الابهام ، وهو مرتع واسع للحيرة والتردد والاختلاف . ذلك لان الوسائل الموصلة الى حقائقه غير متفق على الثقة بهـا . ولئن كان المعري قد حاول ان يخضع حقائق الكون الخفية للعقل المجرد الا انه قد وقف — بالواقع — من مسائل كثيرة موقف الحائر متردداً بين المتقابلات والمتناقضات . وساعرضه لك في موقفين يبدو في اولها حائراً يؤثر التجاهل على التقرير والجزم ، ويظهر في الثاني متردداً بين الامر وضده لا يستقر من احدهما على حال .

أ - الحيرة والتجاهل : اكثر مـا يكون التجاهل في اعقد المسائل الفلسفية كماهيات الاشياء ، ومواردها ومصادرها وغاياتها . فكثيراً ما يقف المتأمل امام هذا الكون العجيب يتأمل اسراره وخفاياه ، حتى اذا كلَّ من التساؤل واخفق في استحضار الجواب المقنع عاد كاسف البال مقراً بالجهل معترفاً بالاخفـاق والتقصير . وفي آثار المعري شيء من هذا القبيل . فقد جالت بصيرته في هذا العـالم ، وانسل فكره الى زواياه طمعاً باستطلاع اسراره واكتشاف خفاياه ، فلم يظفر من ذلك بطائل . على انه لم يكتم هذا الاخفاق بل اعلنه على رؤوس الاشهاد فقال بعد ان اطال التساؤل عن ماهية الله :

اما الاله فامر لست مدركه فاحذر لجيلك فوق الارض سخاطا
● متى عرض الحجـا لله ضاقت مذاهبه عليـه وان عرضنه (١)

فالمعري — على ايمانه الراسخ بوجود الله واقراره الصريـح بطاق سلطانه — يجد الوسائل غير متوفرة لاكتناه ماهيته ، فيقف من ذلك موقف العاجز المعترف بعجزه . وله في ماهيـة الروح ومآلها :

الروح شيء لطيف ليس يدركه عقل ، ويسكن في الجسم الذي حرجا
● ارواحنا معنا وليس لنا بهـا علم فكيف اذا احتوتها الا قبر ؟
● ارى هذياناً طال في كل امـة يضمنها ايجازها وشروحهـا
واوصال جسم للتراب مآ لها ولم يدر دار اين تذهب روحها (٢)

وله في سر الحياة :

نفارق العيش لم نظفر بمعرفـة اي المعـاني بأهل الارض مقصود
لم تعطنا العلم اخبار يجيء بها نقل ، ولا كوكب في الارض مرصود
● وصاغني الله من ماء وها انذا كالماء اجري بقدر كيف اجريت
بريت للامر لم اعرف حقائقه فليتني من حساب الله بريت (٣)

وله نظير هذه الاقوال في الفلك [(٤)] والمكان والزمان [(٥)] وأزلية العالم [(٦)] وناموس الطبيعة [(٧)] وغاية الحياة [(٨)] نكتفي بالاشارة اليها لضيق المقام .

ب - التردد وتطور الرأي : لما كانت طبيعة الموضوع غامضة على الصورة التي وصفنا ، ادى ذلك في كثير من الاحوال الى عـدم

---

* اصطلحنا في شواهدنا الاضافية في الهامش على الاشارة بالحرف الى القافية ، وبالعدد الاول الى رقم القصيدة ، وبالاعداد التاليـة الى ارقام ابيات الشاهد .

(١) الغزالي — المنقذ من الضلال : دمشق مطبعة الترقي الطبعة الثالثة ص ٣٥

(١) انظر ايضاً — م : ٣ — ٢ ، ن : ١٣ — ١ . (٢) راجع ايضاً — د : ١٢٣ — ٧ — ٨ ، ك : ١٨ . (٣) انظر ايضاً — ر : ٩٤ — ٤ — ٥ ، د : ١٢٥ . (٤) راجع ايضاً — : ٤ — ٣ ، ت : ١٠ — ٩ — ١٠ ، ر : ١٩٥ — ١ ، ر : ٢٣٤ — ٢ — ٤ ، ل : ١٥٩ — ٤ — ٧ . (٥) راجع — : ٢٢ — ١٣ — ١٤ ، م : ٣ — ١ . (٦) راجع — م : ٨ — ١ — ٢ ، ٢٧ — ٤ — ٥ . (٧) راجع : ١٥ — ١ — ٤ ، ه : ٣٢ — ٤ — ٨ . (٨) راجع ايضاً — : ٢٩ — ٦ — ٧ ، — : ٢٣٧ — ١ — ٢ ، ن : ٧١ .

لاستقرار في الرأي ، فقد يقتنع المفكر بالموضوع على وجه ما ، ثم لا يلبث ان يتحول عنه الى الوجه المقابل ، وربما خرج من الوجهين المتقابلين الى الشك واللا ادرية . وقد يحدث ذلك في فترات قصيرة من الزمن ويعاد على سبيل الدور فيسمى ترددأً وتقلباً . وقد يحدث في فترات متباعدة ويدوم الاخذ بالوجه الواحد ردحاً من الزمن فيدعى تطوراً في الرأي . وحيث عز الدليل التاريخي التبست الحالتان واشتبهت على الباحث المسالك ولم يأمن الزلل في الحكم .

والمعري في اللزوميات آراء متضاربة هي بين ان تكون شاهداً على التردد والاضطراب او دليلا على تطور الرأي . والحكم في ذلك يستند الى ما قد يتوفر من الادلة التاريخية . وهذه الادلة في ديوان اللزوميات « أعز من الكبريت الاحمر » لان جامعه لم يراع في ترتيبه السياق التاريخي ، ولان الاشارات التاريخية في تضاعيف النص الى زمن النظم او مناسباته تكاد تكون مفقودة . واما حوادث حياته واحوال عصره فصلتها — حيث وجدت — بآراء الشاعر ، في الاعم الاغلب ، صلة عامة مبهمة . وعليه فالادلة التاريخية القليلة المتوفرة لدينا الآن لا تسعف كثيراً في الخروج من المشكلة . ولذلك يتعذر علينا ان نجزم بان ذلك الاختلاف انما يمثل اضطراباً في الرأي او تطوراً في التفكير . وسأمثل على ما نحن فيه بثلاث من مستعصيات المسائل الفلسفية التي عالجها الشاعر .

الاولى : مسألة القضاء والقدر — لعبت هذه المسألة في تاريخ الفكر الاسلامي دوراً هاماً . فقد كانت من اولى المسائل التي أثارها المتكلمون . وكان من تأثيرها ان شطرتهم الى قدرية تقول بقدرة العبد على افعاله خيرها وشرها ، وجبرية تقول بالتسيير المطلق وبالاشاة ارادة العبد [1] . وقد وجد كل من الفريقين ما يؤيد به أقواله من الآيات المنزلة سالكاً الى ذلك سبيله الخاص في التفسير والتأويل [2] . وتناقلت الاجيال التالية هذه المشكلة دون ان تدخل عليها تعديلا كبيراً : « فالكسب » الذي استنبطه الاشاعرة مؤداه الى التسيير [3] . وتفسير الائمة المتأخرين للقضاء والقدر بمعنى « معرفة الله السابقة بوقوع الحوادث وحصولها عند استتمام أسبابها » مؤداه الى التخيير [4] . فالمفكرون الى اليوم بين معتقد بالتسيير

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ١ مصر المطبعة الادبية سنة ١٣١٧ هـ ١-٥٨،٥٩،١٠٨-١٠٩ (٢) احمد امين : فجر الاسلام — مطبعة التأليف والترجمة والنشر . طبعة ثالثة ص ٣٤٧-٣٤٨ (٣) احمد امين : ضحى الاسلام : ٣-٥٥-٥٧ (٤) علي بن ابي طالب : نهج البلاغة شرح الامام محمد عبده تحرير محي الدين الخياط ٢-١٦٤ هامش .

ومؤمن بالتخيير ، وعليه فالمشكلة لم تحظ بعد بحل حاسم .

اما المعري فايمانه بالتسيير واضح معروف ، وشواهد ذلك كثيرة جداً في اللزوميات نجتزىء منها بقوله :

ما باختياري ميلادي ولا هرمي   ولا حياتي فهل لي بعد تخيير ؟!
ولا اقامة الا عن يدي قدر   ولا مسير اذا لم يقض تسيير
● اذا وقي الانسان لم يخش حادثاً   وان قيل هجام على الحرب اهوج
وان بلغ المقدار لم ينج سابح   ولو انه في كبة الخيل اعوج

فكل ما يقع للانسان فبقضاء وقدر سواء في ذلك الولادة والموت وحوادث الحياة . واذا قدر وقوع الامر حصل ولو حالت دونه اشد الموانع ، واذا لم يقدر وقوعه لم يحصل ولو توفرت الاسباب وتواترت الدواعي !

ومع هذا الجزم نجد المعري اقوالا يقف فيها من هذا الناموس موقف المتردد كما في قوله :

جيب الزمان على الافات مزرور   ما فيه الا شقي الجد مضرور
ارى شواهد جبر لا احققه   كأن كلا الى ما ساء مجرور
● ان كان من فعل الكبائر مجبرا   فعقابه ظلم على ما يفعل
والله اذ خلق المعادن عالم   ان الحداد البيض منها تجعل(١)

فهو على اعتقاده بان الانسان مسير يقف احياناً متردداً بين القبول والرفض لما يبدو له من التناقض بين ناموس التسيير وصفة العدل الالهي . فما هو موقفه النهائي من هذه المشكلة ؟

الثانية : مسألة حشر الاجساد — هي ايضاً من المسائل المستعصية ، فقد دعا النص الى الايمان بحشر الاجساد . وابى اصحاب التأويل قبول الامر على ظاهره . ودرج فلاسفة الاسلام على التأويل فناهضهم المتكلمون ، وكان اشدهم في ذلك الامام الغزالي اذ جعل رفض عقيدة حشر الاجساد من اسباب الكفر [2] . وقد عرض المعري لهذه المشكلة ووقف منها مواقف مختلفة فجرى مجرى الفلاسفة في قوله :

اذا آمن الانسان بالله فليكن   لبيباً ولا يخلط بايمانه كفرا
اذا نفرت نفس عن الجسم لم تعد   اليه ، فابعد بالذي فعلت نفرا
● لو هب سكان التراب من الكرى   اعي المحل على المقيم الساكن
لغدوا وقد ملأ البسيطة بعضهم   ورأيت اكثرهم بغير اماكن !
لو كان جسمك متروكا بهيئته   بعد التلاف طمعنا في تلافيه
كالدن عطل من راح تكون به   ولم يحطم فعادت مرة فيه
لكنه صار اجزاء مقسمة   ثم استمر هباء في سوافيه (٣)

(١) انظر ايضاً — ا : ٦ — ١ — ٤ ، ع : ٨ — ١ — ٣ ، م : ١٢٦ — ٨ ، ن : ٥٥ — ٧

(٢) الغزالي : تهافت الفلاسفة : المطبعة اليسوعية ١٩٢٧ ص ٣٤٥

(٣) انظر ايضاً — ر : ٥١ — ٥ — ٦ ، ك : ٥ ، ل : ٦١ — ٤ — ٥

فهو يسفه فكرة حشر الجسد على اساسين : الاول تعذر وجود مكان كاف لاستيعاب جميع البشر ، والثاني استحالة رجوع الجسم الفاني الى ما كان عليه .

على انه لا يلبث – في اقوال اخرى – ان ينقلب الى اثبات الحشر او عدم الجزم باستحالته – على الاقل – وذلك في مثل قوله :

قال المنجم والطبيب كلاهما   لا تحشر الاجساد قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر   او صح قولي فالخسار عليكما
● ما اقدر الله ان ندعى بريته   من ترجهم فيعودوا كالذي كانوا
قد يمكن البعث ان نادى المليك به   وليس منا لدفع الشر امكان (١)

فهل آمن بالحشر ام كفر به ؟ وهل تردد بين الايمان والكفر ام تحول من احدهما الى الآخر بحكم تطور التفكير ؟

الثالثة : مسألة مآل الروح – للمعري اقوال مختلفة في خلود الروح : يقول في بعضها ببقائها ويحكم في سواها بفنائها . وشأنه في ذلك شأن من يحاول اخضاع الروحيات للعقل . فان هو اخذ بالايمان نهض العقل في طلب الدليل المنطقي ، فان عز الدليل عاد الى الايمان الساذج او انقلب الى الجحود الجامح . اما ايمانه بخلودها فيستشف من مثل قوله :

يفرق بين الروح والشخص حادث   الا ان ايام الفراق حسوم
الى العالم العلوي ترمع رحلة   نفوس ، وتبقى في التراب جسوم (٢)

واما اعتقاده بفنائها فيبدو من مثل قوله :

وشخصي وروحي مثل طال وامه   لتلك بهذا من يد الرب عاقد
يمونان مثل الناظرين توارادا   ، فلا هو مفقود ولا هي فاقد
أنذهب دار بالنضار وربها   يخلفها عما قليل ويذهب
ارى قبساً في الجسم يطفئه الردى   وما دمت حياً فهو ذا يتلهب

فهل هي عنده عنصر روحاني خالد ام مبدأ آلي زائل يوجد بوجود الجسم وينعدم بموته ؟ ام هو يريد المعنى الاول حيث يشير بخلودها ويقصد الثاني حيث يحكم بفنائها ؟

ومهما يكن من امر فان توارد هذه الخواطر المتباينة قد لا يكون – في جميع الاحوال – من باب التردد والاضطراب بل قد يحمل محمل التطور في الرأي . فغير مستبعد ان يكون ابو العلاء قد مر – في حياته الفكرية – في اطوار كان في بعضها منقاداً الى الهدي العقلي المجرد ، ثم تحول الى الاستسلام الروحي بعد ان اخفق في اخضاع كل حقيقة للمنطق العقلي ، ماراً بطور ران على عقله فيه الشك واللا ادرية . الا ان تحقيق ذلك يقتضي رد آرائه الى فترات معينة من حياته وهذا ان تيسر في بعض آثاره يتعذر في الكثرة المطلقة منها . ولا يعنيني في بسط هذه الاحتمالات ان اثبت البعض وانقض البعض الاخر بل ان اشير الى ان الموضوع في نفسه غامض لذلك يحتمل تردد الرأي وتطور الاعتقاد . وهذا الى جانب الجهل باحوال الشاعر المتصلة بمناسبات النظم قد ادى الى تعدد الافتراضات واختلاف الاحكام بحقه .

(٢) ابهام المقاصد : هو العامل الثاني من عوامل الغموض والالتباس ، فقد تعمده المعري في كثير من اقواله لامر ما في نفسه ، فتراه يشير الى ما يريد من طرف خفي ، او يجعل كلامه محتملا للامر وضده او يأتي – في موضوع ما – على اراء مختلفة ويمسك عن الادلاء برأيه الخاص . ذلك لانه كان – في مواقف كثيرة – ثائراً على الاوضاع العرفية فآثر في بعضها ان يسلك سبيل التلميح والتمويه حذراً وتقية . قال :

غدا اهل الشرائع في اختلاف   تقض به المضاجع والمهود
فقد كذبت على عيسى النصارى   كما كذبت على موسى اليهود
ولم تستحدث الايام خلقاً   ولا حالت عن الزمن المهود

فالبيت الاخير يشعر بادخال المسلمين في حكم النصارى واليهود وكأني به يريد : وقد كذب على محمد المسلمون . وقريب من هذا قوله :

مسيحية من بعدها موسوية   حكت لك اخبارا بعيدا ثبوتها
وفارس قد شبت لها النار وادعت   لنيرانها ان لا يجوز خبوتها
فما هذه الايام الا نظائر   تساوت بها آحادها وسبوتها

فهو يأخذ على الاديان المذكورة قبول الاخبار على علاتها . وقوله بتشابه الايام يحتمل معه ادخال الاسلامية في حكم الاديان القديمة . فاذا صح هذا الاجتهاد بدت براعة الشاعر في تمويه مقاصده .

*

ومن طرقه في تعمية اغراضه ترك الامر متحملا للضدين كما في قوله :

ان يصحب الروح عقلي بعد مظعنها   للموت عني فاجدر ان ترى عجبا
وان مضت في الهواء الرحب هالكة   هلاك جسمي في تربي فواشجبا
الدين انصافك الاقوام كلهم   واي دين لابي الحق ان وجبا

فما المقصود من حصر معنى الدين في الفضائل العملية بعد التساؤل عن مصير الروح ! هل يريد : ان ما قيل في خلود الروح اخبار واهية وانما الدين انصاف الناس لا التشبث بالاخبار ؟ ام يعني : ان امثال هذه المسائل ابعد من ان يستوعبها العقل فاترك

---

(١) انظر ايضاً – ت : ٤٤ – ٥ ، ع : ٣٦ – ٤ .
(٢) انظر ايضاً – د : ١٠١ – ١ ، ع : ١٣ – ١ ، م : ٦٨

الجدال فيها واصرف عنايتك الى الفضائل العملية التي يوجبها الدين.
وقال :

الجسم والروح من قبل اجتماعهما   كانا وديعين لا همًا ولا سقما
تفرد الشيء خير من تألفـه   بغيره ، وتجر الالفـة النقما

فما المقصود بقوله : « كانا وديعين » ؟ هل يشير بذلك الى ازلية الروح والعناصر الاربعة التي يتألف منهـا الجسم ، ام يريد نعمة العدم التي كثيراً ما اشار اليها في ديوانه ؟ وقال :

الجسم يهوي بالطباع الى الثرى   ويبين فيه تكلف الاصعاد
واخال نفسي حتى تفقد شخصها   تلقى الذي عملته قبل معـاد

فهل يريد في الشطر الاخير ان النفس تحاسب في هذه الدنيا ولا معاد ؟ ام يقصد انها تلقى بعض جزائها في الحياة قبل الحساب الشامل في المعاد ؟

*

ومن افانينه في الابهام والتعمية ترك الامر ملتبساً بين الجـد والهزل بحيث يتعذر على القارىء الحكم بالجد او البت بالتهكم ، قال :

تباركت ! امواه البلاد سوائغ   بعذب ، وخصت بالملوحة زمزم
تعاليت ! رب الناس عن كل ريبة !   كأنا بانيان المآثم نأثم

فالظاهر انه يعرض لقضاء الله وقدره فيذكر ان الله قدر لماء زمزم ان يكون مالحاً وهو الماء المقدس الذي يستقي منه خاصة المسلمين وحجاجهم واتقياؤهم في حين انه جعل امواه البلدان الاخرى – ومنها بلدان الاعاجم والكفار – عذبة سائغة ، ويعرض بـه ايضاً حيث يعاقب العبد على اثم ارتكبه مسيراً . فهل هو ساخر من هذا الناموس ام هو مؤمن به مستسلم اليه تاركاً الامر للحكمة الالهية الخفية ؟ وهل ينم هـذا الدعاء في مطلع البيتين عن ورع وتقى ، ام عن جحود وتهكم ؟ وقال :

تقسم حظوة حتى صخور   يزرن فيستلمن ويلتمسنه
كذات القدس او ركني قريش   وامرتهن احجار لطسنه
يحج مقـام ابراهيم وفـد   وكم امثال موقفـه وطسنه

فهو يشير الى ان الاثار المقدسة كحجر الكعبة وصخرة المسجد ومقام ابراهيم لا تختلف عن مثيلاتها من الاثار والمباني الا بالحدث التاريخي . فهل هو يبرر تقديسها لمثل السبب المذكور ام يسخر من تكريم الناس لها وليس فيها ما يستحق التكريم ؟ وقال :

عيدان قيناتنا من تحت ارجلها   وعود قينتكم في حجرها بانا
وماحكين النصارى في لباسهم   ولا بغين كاهل السبت اسباتا
لكنهن حنيفات بزعمنـا   ذكرننا الله تمجيدا واخباتا
يثبتن ربًّا قديرا لا كفاء لـه   ومـا عمدن لغير الله اثباتا

فهل هو مؤمن بمـا يقال من ان الحمام الذي يعتصم بالكعبة المقدسة قد اعتنق الاسلام ، وان هديله انما هو تسبيح لله عز وجل؟ ام هو ساخر من هذا الاعتقاد الساذج ؟

*

ومن اساليبه في التمويه والابهـام – مقصوداً كان ام غير مقصود – عرض المعضـلات ، وبسط الآراء المختلفة فيهـا ، والسكوت عن رأيه الخاص ، كما في قوله :

اما القيامـة فالتنازع قائم   فيها وما لحبيها اسحار
قالت معاشر ما اللؤلؤ عائم   يوماً الى ظلم المحار محـار
وبدائع الله القدير كثيرة   فيخور فيها لبنا وبحار !

فهو يحـاول ان يخرج من الحكم – اثباتاً او انكاراً – بتعظيم قدرة الله . وهذا التعظيم لا يثبت حقـاً ولا ينفي باطلا .
وقال :

فهل قـام من جدث ميت   فيخبر عن مسمع او مرى
ولو هب صدقـه معشر   وقال اناس طغى وافترى

فمن أي الفريقين هو ؟ وقال :

جرى خلف وادعى المدعون   انا على مـا اردنا قـدر
وقالت معاشر لا نستطيع   بل نحن مثل الربى والجدر
وكل مؤمل صفو الحيـاة   وذلك في فلك لم يـدر

ففي اي نهج يرى هو صفو الحياة ؟ وقال :

في كل امرك تقليد رضيت به   حتى مقالك ربي واحد احد
وقد امرنا بفكر في بدائعه   وان تفكر فيه معشر لحدوا
واهل كل جدال يمسكون به   اذا رأوا نور حق ظاهر جحدوا(١)

فالتقليد يؤدي الى الجمود ، والتفكير يقود الى الالحـاد . والجدال يسوق الى التعنت ، فما العمل ؟ ؟

واذا كان كل ما مر بنا لا يقنعك بان الرجـل كان يتعمد التعمية والتمويه فاسمع ما يشهد هو به على نفسه اذ قال .

الم ترني حميت بنات صدري   فما زوجتهن وقـد عنسنه
ولا ابرزتهـن الى انيس   اذا نور الوحوش به انسنـه
● لا تقيد علـي لفظي فـاني   مثل غـيري تكلمي بالمجاز
انمـا عشرة الانام نفـاق   وتبـاه في باطل وتجـازي
● اهوى الحياة وحسبي من معايبها   اني اعيش بتمويه وتدليس
نطالب الدهر بالاحرار وهو لنا   فبين عذرين افلاس وتفليس
فاكتم حديثك لا يشعر به احد   من رهط جبريل او من رهط ابليس
● تعالى الله فهو بنـا خبير   قد اضطرت الى الكذب العقول

---

(١) راجع ايضاً – ع : ٨-١-٣ ، ٥ : ١٥ - ٩-١١

تقول على المجاز وقد علمنا بان الامر ليس كما تقول (١)

ولا نقصد بما اوردنا ان الابهام والالتباس في آثار المعري امر لا حل له ولا مخرج منه ، بل ان الوصول الى حل ما — حيث تيسر — لا يعدو الاجتهاد والتخمين والترجيح . ومتى سلك الباحثون هذه السبل كثرت الاقوال وتعارضت الاراء .

(٣) التواء الاسلوب : يبدو ان اباالعلاء لم يكن شديد الرغبة في نشر آرائه واذاعة معارفه ، بل آثر ان يبقى ذلك — او بعضه — بينه وبين نفسه ، او ان يشارك به فئة من ارباب الفكر الحر فحسب ، ويصدق هذا الحصر — بصورة خاصة — على ما اتصل بالدينيات من ارائه المتطرفة . فكثيراً ما نراه يقنع بالاشارة البعيدة ، ويؤثر التبجح بتضلعه من اللغة وتصرفه في فنون البديع ، على الافتخار بسعة العلم وطرافة الرأي . وعليه فقد اشتمل اساوبه على الكثير من الالاعيب اللفظية والرموز المعنوية . ويبدو ذلك في اربع ظواهر رئيسية :

ا — كثرة الغريب : ليس المراد هنا استعمال الالفاظ الغريبة فقط بل توخي المعاني الغريبة للالفاظ المألوفة ايضاً . اما المفردات الغريبة فتكاد لا تحصى في سائر مؤلفات الرجل لا سيا اللزوميات ، وهذه الكثرة تغنينا عن اثبات الشواهد . واما الالفاظ العادية التي وردت بمعانيها الغريبة فشبيه قوله :

ولست كمن يقول بغير علم سواء منك فتك وانقاء
فقد وجبت عليك صلاة ظهر اذا وافاك بالماء السقاء

فالمعنى المألوف للفتك : القتل غرة ، وعليه اجمع شارحو الديوان . وعندي انه بمعنى اللهو والمجون ، لا سيا وقد جاء في مقابل التقوى ووجوب الصلاة .. ومنه قوله :

يامشرع الرمح في تثبيت مملكة خير من المارن الخطي مسباح
يزيد ليلك اظلاماً الى ظلم فما له آخر الايام اصباح

فالمعنى الذي تسوق اليه القرينة للفظة « مسباح » : الجواد السريع وبذلك شرح . ولكن ما معنى المفاضلة بين الرمح والحصان في هذا الموقف ؟ ولعل المراد المسبحة التي يستعان بها على ضبط الصلاة فتكون غاية الشاعر الحث على التعبد والترغيب عن الملك . وقال :

شر بي على المقلة في مقلت واكلي المشرق بالمغرب
آثر عندي من طعام لهم يشفع بالمطرف والمطرب

فالمقلة : الحصاة التي يقسم بها الماء في السفر ، والمقلت : الارض المهلكة ، وكلاهما من الغريب الحوشي . والمشرق والمغرب يبدو لاول وهلة انهما قد وردتا بالمعنى المعروف ، لكن المعنى لا يستقيم بذلك ، وقد خفي حتى على شارحي الديوان اذ فسروا « المشرق » بمعنى اللحم القديد وتركوا « المغرب » بلا شرح كانهم اعتبروها بمعنى الغروب . والقرينة تأبى ذلك كله اذ كيف يؤثر المعري اكل اللحم القديد وهو الذي حرمه بصورة صريحة وامتنع عنه فعلا . ولعل المشرق : من اشرق النخل اذا ازهى ، اي البلح الباكر ، والمغرب من أغرب الدمع اذا جرى ، فيكون المقصود تفضيل شرب الماء القليل ، وأكل البلح مغموساً بالدمع ، على الطعام الفاخر المصحوب بالانس والطرب . فالمعاني البعيدة كثيراً ما تؤدي الى الابهام والالتباس ، وتقود الى اختلاف الرأي وتباين وجهة النظر .

ب — التباس الدلالة : في اللغة الفاظ كثيرة ذات دلالة مزدوجة : احداها قاموسية اشتقاقية والاخرى عرفية اصطلاحية . فاذا لم تسعف القرينة التبست احداها بالاخرى . ومثال ذلك في اللزوميات لفظة « دين » فقد وردت بمعنى النظام التقليدي الخاص بمذهب من المذاهب تارة ، وجاءت في اخرى بمعنى التعبد والخضوع لله . وغير خاف ان التباس المدلولين قد يحول انتقاد التقاليد الى الطعن في العقائد ، ويقلب تعظيم الايمان الى مدح الشعائر والاوضاع الشكلية ومثل هذا الالتباس قد خلق للمعري كثيرين من الخصوم . والشواهد التالية تؤيد ما ذهبنا اليه . فقد وردت لفظة دين بمعنى النظام التقليدي في مثل قوله :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان اهل الارض : ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

« فالدين » في البيت الثاني بمعنى الوضع الشكلي ، ومراد الشاعر ان اجتماع التفكير الحر والتقليد الجامد امر متعذر . وقال :

دعا موسى فزال وقام عيسى وجاء محمد بصلاة خمس
وقيل يجيء دين بعد هذا فاودى الناس بين غد وامس
ومن لي ان يعود الدين غضاً فينقع من تنسك بعد خمس

فالاديان التي توالت اكثر ما تختلف بالاوضاع والشعائر واما المعنى المقصود في البيت الاخير فأقرب الى ان يكون التقى والتعبد . وقال :

افيقوا افيقوا يا غواة فانما ديانانكم مكر من القدماء
ارادوا بها جمع الحطام فأدركوا وبادوا وماتت سنة اللؤماء

فالدين الذي اورثه مكر القدماء التقاليد لا الروح الدينية .

(١) انظر ايضاً — ب ١٢٧ — ٢ — ٣ ، ز : ١٦ — ٣ — ٥ ، ض : ١١ — ١ — ٢ .

وقال :

يقولون ان الدين ينسخ مثلما   تولت باقبال الحنيفة فارس
وهما يكن فالله ليس بزائل   ويجني الفتى من بعد ماهو غارس(١)

فالاديان تتناسخ واما الايمان بالله والتصديق بالمعاد فلا سبيل لوقوع التناسخ فيهما . وعليه فالمعنى الاول يعود الى الاوضاع الشكلية والثاني الى النزعة الروحية . وهذا التخريج يتفق مع المعروف من ايمان المعري ، ويزيل الكثير من الابهام الذي يشوب اراءه ، ويحل الكثير من مشاكل الخلاف في عقيدته .

واما ورود « الدين » بمعنى النزعة الروحية ففي مثل قوله :

توهمت يا مغرور انك دين   علي يمين الله مالك دين
تسير الى البيت الحرام تنسكاً   ويشكوك جار بائس وخدين

فهو يريد بقوله « ما لك دين » : لست تقياً مهما كان من امر المحافظة على الفروض . وقال بهذا المعنى :

سبح وصل وطف بمكة زائرا   سبعين لا سبعاً فلست بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له   اطماعه لم يلف بالمتماسك

فالمعنى المقصود من الديانة – على ما تنبيء القرينة – : التقى والسمو الروحي . وقال :

خاب الذي سار عن دنياه مرتحلا   وليس في كفه من دينه طرف
لا خير للمرء الا خير آخرة   يبقى عليه فذاك العز والشرف (٢)

يريد بقوله « وليس في كفه ... » اي وليس له حظ من التقى . اذ ان رأيه في قلة جدوى الفروض معروف .

ومن هذا القبيل حمل النقد الموجه الى ارباب الدين على النواميس الدينية نفسها ، ومثال ذلك ما قاله المعري في رجل تنصر :

ضاع دين الهادي فرحت تروم   الدين عند القسيس والشماس
اتهد الانجيل في يوم كنس   بعد حفظ الاسباع والاخماس

فالمقصود بالطعن انما هو الرجل المنشق لا الدين المحمدي . وله ايضاً :

تستروا بامور في ديانتهم   وانما دينهم دين الزناديق
نكذب العقل في تصديق كاذبهم   والعقل أولى بتكذيب وتصديق

« فدين الزناديق » ليس الدين الذي ينتسبون اليه اسمياً بل التصرف الديني الذي ينهجونه . وله :

(١) انظر ايضاً – س : ٢٩–١٠–١٤ ، ٧٥–١١–١٢ ، ر : ٤١–٣–٥ ، ى : ٨–٤–٦ .
(٢) راجع ايضاً – : ١٧–٦–٧ ، ٢٠–٤

استغفر الله واترك ماحكى لهم   ابو هذيل وما قال ابن كلاب
فالدين قد خس حتى صار اشرفه   بازا لبازين اوكلباً لكلاب(١)

فالدين الذي خس ليس رسالة الرسل بل نهج المنافقين . هذا مثال مما وقع من الالتباس في لفظة دين . وقد وقع مثل ذلك في الفاظ كثيرة يحضرني منها الان : التقى والنسك والزهد ، والحشر والمعاد ، والموت والهلاك ، والنفس والروح ... الخ . فقد نجم عن الالتباس في مدلولات هذه الالفاظ وامثالها تشويش كثير في فهم آراء الشاعر ، واختلاف واسع في تقدير اثاره الفكرية .

ج – تضليل الصناعة : ان تكلف الفنون البديعية كثيراً ما يدعو الى تصيد الغريب واللجوء الى الحوشي مما يذهب – ولا بد – بشيء من حسن سياق العبارة ووضوح دلالتها . بل كثيراً ما يؤدي الى غموض الفرض واختلاف الرأي . قال :

لا يجزعن من المنية عاقل   فالنعش : من نعش الفتى ان يعثرا
والعيش : من عشي البصير : اصابه   قلب واسكان فسم لتذثرا

فقد دعاه حب التجنيس الى ان يستعمل « نعش » بمعنى «نهض» للمجانسة مع «النعش» . وجعل « العيش» في البيت الثاني من «عشي» وعلل الصلة بالقلب والاسكان . اما القلب ففي تقديم الياء على الشين واما الاسكان ففي تسكين الياء بعد تحركها بالفتح . وغير خاف ان هذه الصلة من مفتريات الصناعة اللفظية . وقال :

يا نفس آه لمتجر متنزر   جربته فرجعت عين المخسر
مر سيعلن والحياة معارة   ولتقضين بها ديون المعسر
كمخبيء نعم وبئس يخبا فيهما   ويكون ذاك على اشتراط مفسر

فالمقصود بمخبيء نعم وبئس : الضمير المستتر ، واستتاره في رأي سيبويه واجب ، وفي رأي ابي العباس جائز ، فكأنه يريد : ان سر الحياة غامض لكن البعض يظنون انه قد انكشف بالتأمل العميق والتفكر السديد ، ويذهب سواهم الى ان ظهوره محال . وما كان اغناه من هذا التمثيل المتكلف الغامض . وقال :

لا خير في الدنيا وان الهى الفتى   فيها مثان ايدت بمثالث
شر الحياة بسيطة مذمومة   عمدت لها بالسوء كف الغالث
وسلامة كسلامة الجزء الذي   بالضرب لز من الطويل الثالث

والضرب الثالث من البحر الطويل : « فعول فعولن »وسلامته من الكسر قد اقتضت حذف النون من « فعول » يريد ان سلامة الجسم انما هي في ترك الرفاهية او التخلص من الحياة . فما الذي دعاه الى ايثار الاحاجي ؟! وقال :

(١) راجع – : ٢٦–٣–٩

تواصل حبل النسل ما بين آدم ... وبيني ، ولم يوصل بلامي باء
تشاءب عمرو اذ تثاءب خالد ... بعدوى ، فما اعدتني الثوباء

فالذي يتبادر اولا ان اللام والباء من احرف « حبل » وان المقصود « الحل » او انقطاع الحبل ، في حين ان مراد الشاعر بهما الشخص والزواج فجاء بالتورية بالغة في الغموض ٠

هذه الشواهد تمثل لنا الاعيب لغوية من فنون مختلفة – من صرف ونحو وبيان وعروض ٠ ومثلها كثير جداً في اللزوميات مما زاد في اسباب الغموض ودواعي الابهام ، وادى حتما الى تباين الرأي واختلاف الحكم ٠

د – بعد الرموز : تكثر في اللزوميات الاشارات البعيدة الى الاعلام والمؤلفات والعقائد والنزعات والحوادث التاريخية ، وفيها المشهور الذي يدرك بداهة والمجهول الذي لا بد فيه من المراجعة والتنقيب ، وذلك كما في قوله :

ان المنيـة لم تهب متهيبا ... فالعجز والتفريط في هيابها
ومن العجائب ان كلا راغب ... في ام دفر وهو من عيابها
فانفل على الترب الفصاحة انها ... تقضي لناعيها على زريابها

فقد شرحت لفظة « زرياب » بالذهب الخالص ، الا انها ايضاً علم لاحد مشاهير المغنين [1] ، ولعله المقصود هنا يؤيد ذلك وقوع اللفظة في مقابل الناعي ٠ وقال :

تعالى الناس حتى بالمنى وسما ... ذو الغور يهدي الى النجدية القبلا

فمن هو ذو الغور ، ومن هي النجدية ؟ وهل اراد التعميم ام تعمد التخصيص ! قلت ولعله اراد المحب المجهول صاحب اليتيمة حيث قال :

ان تتهمي فتهامة بلادي ... او تنجدي ان الهوى نجد

وهو الذي وصف « ملكة الحب والجمال » ووافاها بقصيدته املا بالظفر بها فقتل دون مناه ، فلمح اليه الشاعر هنا للتمثيل على الامل الضائع ٠٠٠ والله اعلم ٠ وقال :

تعمده يغنك بالهدي ان ... تدرس مغنيهم والعمد
اذا ما كان ما نالني بالقضا ... فمن سوء رأيي طول الكمد

فالمغني : كتاب في مذهب الاشاعرة ، والعمد : كتاب في مذهب الاعتزال ، والدعوة الى ترك الخوض في الفروق بين مذاهب المتكلمين ، والاعتصام بالايمان البسيط ٠ ومن شواهد ذلك قوله :

لو كنت يعقوب طير كنت ارشدني ... مسعاك من امم تنمى ليعقوبا
ضلوا بعجل مصوغ من شنوفهم ... فاستنكروا وسمعاً للشنف مثقوبا
وان دنياك هـذه مثل قائبة ... وسوف يقطع منها ربها القوبا

فالامم التي تنسب الى يعقوب هم الاسرائيليون ، والاشارة في البيت الثاني الى تمردهم في عهد موسى وعبادتهم للعجل الذي صاغوه من حلي نسائهم ٠ والتلميح في البيت الاخير الى المثل : « تخلصت قائبة من قوب » : اي خلت البيضة من الفرخ ٠ والاشارة الى نجاة الدنيا من الانسان الفاسد ٠

والحق ان اسلوب المعري في كثير من قصائده ومقطعاته سهل سائغ ، الا انه في الكثير منها ايضاً ملتو معقد لما شاع فيـه من الالفاظ الغريبة والتعابير المبهمة والصناعة المتكلفة والرموز البعيدة وهذا مما زاد في ابهام المعاني وغموض الاغراض والتباس المقاصد ، فلا بدع ان ادى الى الاختلاف في فهم الرجل والتباين في تحديد منزلته ٠

ختام القول

وختام القول ان الخلاف في تفهم آراء ابي العلاء يكاد يكون محصوراً في بعض المعضلات الدينية والالهية ٠ واما العوامـل التي أثارته واذكته فأهمها ثلاثة : هي غموض الموضوع نفسه ، وابهام الاغراض والمقاصد عفواً او عمداً ، والتواء الاسلوب لما شابه من تكلف للصناعة وتعمد للغريب وايثار للاشارات البعيدة ٠ ولا بد لي – ختاماً – من ان اضيف الى ذلك عاملا رابعاً تقع تبعته على أدباء العصر هو سوء اخراج الديوان ٠ فقـد طبعت اللزوميات – فيما اعلم – اربع طبعات ان هي تفاوتت في درجة الاتقان ومدى التفسير فقد تساوت في تشويش النص وضآلة الشرح ٠ وخلت جميعها من الفهارس المفصلة ٠ ومثل هذا الاخراج السيء يتعذر معه الدرس العلمي الصحيح ٠ فنحن نهيب بعلماء العصر ان يعيروا هذا الديوان الفريد جانباً من اهتمامهم ، ويسعوا في نشره من جديد نشراً علمياً صحيحاً ، فيضبطوا نصه ، ويتبسطوا في شرح غامضه ، ويلحقوه بفهارس تستوعب جزئيات موضوعاته ، حتى اذا تناوله الدارس كان مطمئناً الى النص ، معاناً بالشرح الوافي ، مؤيداً بالفهارس المفصـلة التي تيسر له الوصول الى اجزاء موضوعه بكاملها دون اسراف في الوقت والجهد ٠ وعندها يرجى ان تتقارب الآراء المتباينة في الرجل وتخف وطأة الخلاف في فهم آرائه ، بل قـد تتفق في كثير من النواحي التي لا تزال الى اليوم مبعثاً للمشادة ومثاراً للجـدال ٠ فعسى ان يصادف هذا النداء البريء آذاناً صاغية ، ويبادر ارباب الخبرة والغيرة الى نشر الديوان مجدداً ، فيسهل على رواد الادب سلوك معارجه وارتياد مجاهله ٠

كمال اليازجي

(١) زرياب : هو ابو الحسن علي بن نافع توفي حوالى ٢٣٠ هـ ٠ راجع : الزركلي – الاعلام ٢-٧٠٣

السجن الرهيب

عن الانكليزية

كنا جمعاً من الرفاق يتريض في احدى حدائق لندن ، وكنا مقبلين على صيف ، فلم تكف الطيور عن التغريد ، ولم تنفصل عن الاغصان ثمار الفصل .

قال احد الرفاق :

— ما كنت اعرف ان لكم طيراً مسجوناً في منزلكم

فقلنا له ان هذا الطير اطاهينا . فقال صديقنا :

— هذا الطاهي وحش ، بل حمار !

وانفجر بعد صمت قصير قائلا :

— الواقع انني لست اطيق رؤية حيوان سجين ، حتى انني ابغض ان افكر فيه .

ثم رفع صديقنا الينا وجهاً تقلصت عضلاته وارتعشت شفتاه غضباً ، وقال :

— كان لي صديق في المانيا يقوم ببعض التحريات في نواح اجتماعية . فذات يوم دعاني الى زيارة احد السجون . لم اكن رأيت قبل هذا سجناً ، ولذلك كنت مشوقاً الى تلك الزيارة . وكان السجن ذا نظام دقيق ، على انني لم أعنَ بان ارى داخل السجن قدر عنايتي بشيء كنت اعتبرته العنوان الخالد لسجن الحيوانات ، بشرية وخلافها .

وصمت صاحبنا قليلا ، وقال بلهجة مخنقة وصوت مرتعش :

— كان هذا (العنوان) سجيناً محكوماً عليه بالسجن المؤبد ، وكان قد امضى من حبسه سبعاً وعشرين سنة ، فقد عرض علينا مدير السجن ان يرينا اياه ، قائلا ان سجنه الابدي اثر فيه تأثيراً شديداً وانهك قواه . وحدثنا مدير السجن ان ذلك المسجون كان صبياً حين قارف جريته ، اذ سرق —وجماً من رفاق السوء— حانوتاً كان اجيراً فيه ، فلما افتضحت الجريمة ضرب الصبي صاحب الحانوت فأرداه ، وقد حكم عليه بالاعدام ، لكن احدى الشخصيات الرحيمة تدخلت في الامر فاستبدلت بعقوبة الاعدام عقوبة الحبس الابدي .

فلما جئناه ألفيناه واقفاً كتمثال ، يجيل عينيه فينا بنظرات بلهاء ، وكان نحيلا مهزولا ، شاحب الوجه ، مقوس الظهر ، وقد اشتعل رأسه شيباً —على انه لم يتعدَّ فيما رجحت السادسة والاربعين— وكانت وجنتاه غائرتين بارزتي العظام ، وكان على جسده ازار سنجابي اللون حائله ، فلما شاهدنا خلع لباس رأسه فبان رأسه الاصلع وقد انتشرت فيه شعيرات بيض . كان ينظر الينا بانخذال واستعطاف وكان كأنه بوم روعها الضوء ، وكالطفل فجأه المرض ، وكانت له رقة مثيرة للاعصاب .

لقد رأيت هناك حبيسين كثاراً ، ولكنني لم أر في وجوههم تلك الرقة التي تستنزف الدمع هتوناً . وكانت في صوته نبرة حزينة تقطع نياط القلب : (نعم يا حضرة المدير ، كلا يا حضرة المدير) .

وفجأة امسك السجين بقطعة من الورق المقوى كانت منقوشة فيها احرف من النوع الذي يستعمله الصم البكم تكوّن جملا من الانجيل ، وجال بيديه فوق الاحرف فرأينا يداً ممسوحة اللون مغبرة ، كيد فلاح .

وسأل احدنا عن اسم مبتكر تلك الطريقة في الكتابة ، وتلفظ اسماً تقريبياً ، فقال السجين :

— لا ، لا ، ليس هذا اسمه .

ثم رأيناه يرتجف فقد كان يحاول ان يتذكر الاسم الصحيح ، فلما لم يستطع خفض رأسه بذلة وقال :

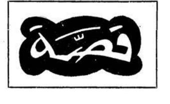
— لا اذكر يا حضرة المدير !

على انه سرعان ما ذكره فلفظه مسرعاً ، ولاحت على شفتيه ابتسامة حزينة .

•

واكتسب وجه صديقنا مسحة جديدة من الحزن الطاغي ، ثم استرسل يتكلم وهو يغدو ويروح :

— لم اكن اعرف قدر الحرية حتى رأيت تلك الانسانية المحطمة ، والرجولة الكسيرة . لم يكن عالمه واسعاً ، بل كان جحراً طوله اربعة عشر قدماً وعرضه ثمانية اقدام ، عاش فيه سبعة وعشرين عاماً ، وحيداً ، فلا انيس ولا جليس ، ولا محدث يزيل عنه الكرب ، بل ولا . . . اسألكم بالله : كيف يصبر بشر على تلك القوة الدفاقة المؤارة ؟؟



ماذا يخيل اليكم ؟ هل ترون انه يمكن للانسان ، في حالة كتلك ، ان يستجمع عقله وشعوره كاملين ؟ . اما انا فقد خيل الي ان ذلك المخلوق المعذب اضاع جزءاً من عقله .

وأرانا خشبة مرسوماً فيها هيكل فتاة غريرة ، ذات عينين زرقاوين ، تحمل ازهاراً

زاهية ، وتنساب وراءها ساقية ماء متعرجة حط عليها طائر . وكانت تظهر مع الفتاة في الصورة اشجار وحشائش تري الناظر ان المكان حديقة وكانت الشجرة الضخمة البادية الى جانب الفتاة لا تشبه الشجر . ويلوح لي انها تستأهل حقاً ان تكون انيساً للبشر . ذلك بان الناظر اليها يرى ان ثمة روحاً تكمن فيها . وكنت اخال ان الارتباك يسود صورة ذلك الشيخ المحطم !

فلما رفع صورته ارتجفت بين يديه المعروقتين ، المملوءتين بالافرازات النتنة . ثم سألناه عما اذا كان قد درس فن التصوير قبل ان يؤتى به الى السجن ، فهز رأسه وظهر عليه انه لم يفهم ما نعني . وقال مبتسما مرتبكاً :

كلا ، ان حضرة المدير يدري ان الصورة من وحي الخاطر ، وليست حقيقية !

يا لله ! كانت بسمته تلك تفجر الحجر الصلد ، او تستنزف شئون العيون ، وتحبب الى الشياطين الاجهاش .

*

كان هذا الانسان — على سبيل المجاز ، فما هو بانسان — قد وضع على خشبته تلك كل مشتهاه وأمانيه في الحياة ! طيراً وشجراً وماء جارياً وسماء و . . . امرأة !!

وقد قيل لي انه افنى من عمره ثماني عشرة سنة وهو يرسم تلك الصورة ، كما قيل لي انه كان يمزق كل صورة يرسمها ، فلم تعجبه الا هذه الاخيرة ، وهي النسخة المائة ! والله الله من هذا العمل المضني الذي يذيب القلوب والعقول .

***

. . حكم عليه بان يموت ، لا كما يموت البشر ، ولا كما تموت البهائم . حكم عليه بان يموت ميتة بطيئة ، حكم عليه بان يحترق ، كما تحترق الشمعة وتنطفىء ذبالتها بعد حشرجة ، حكم عليه بان لا يرى ، ولا يسمع ، ولا يلمس ، ولا يشم ، أمراً طبيعياً . بل حكم عليه بان يرى مصرعه يغذ اليه الخطى دون ان يحرك ساكناً .

واستضحك صديقنا بمرارة واستطرد :

تصوروا كم يبلغ عقل الانسان احياناً من الغباء ، انه يكون أحياناً كمقراض يتلقف الاشياء لا ليخزنها او يحتفظ بها بل ليقرضها ويشوه معانيها . ذلك باني لم اكن اتصور مقدار الاوجاع التي كان يعانيها ذلك المنكوب ، ولكن نظرة من عينيه دلتني على الفجيعة الدامية ، والعيش المرير ، والذل الذي يركب الناس . نظرة من عينيه دلتني على البشرية المحطمة المهصورة العود .

لم احتمل ان استزيد الرؤية ، فوليت الادبار كأن الجن تطاردني امام وورا ، وفوق وتحت . وتذكرت في تلك الساعة ان الروس هم اول قوم احترموا جلال الالم والتعاسة . واستشعرت في نفسي — وانا اواجه ذلك الطير المذبوح أنني — رغم صلاحي وتقواي — انسان مثقل بالذنوب ، وانني لا استأهل ان اكون أوساخاً تطأها رجلاه . بل انني لست على التحقيق الا حثلاً نجساً ذميماً اذا قست نفسي اليه .

وحين عدنا مررنا بحديقة مضيئة مزهرة ، زخارة بالروائع الفواتن ، من ثمر ، وحب متراكب ، وعطور فواحة ، وطيور صداحة ، وارض مشمسة . وانقدح في خاطري آنذاك ان العنكبوت والبشر هما وحدهما اللذان يعذبان المخلوقات ، على أنه ليس غير البشر من يكون عذابه على هذا الشكل : صامتاً جامداً ، ذا برود موذ .

. . أسرعت الى مقهى فاحتللت ركناً من شرفته . وكنت اسمع الضحك المرن ، وارى جذل الاناسي ، وكانت تطرق أذني الموسيقى هدارة صخابة وجعلت اشرف من شرفة المقهى فارى السابلة : تجاراً ومتسولين ورجال دين واصحاب حوانيت وجنوداً وبغايا ، وطبقة راقية .

كانت الاضواء تتسرب من نوافذ البيوت ، والسماء صافية زرقاء ، وكانت البيوت تلوح كأنها حيوانات كبيرة جاثمة . على انني أقسم لك أنني ما ألقيت بالا الى كل ذلك ، فان كنت فعلت فان صورة كانت تبرز أمام عيني كل ساع كانت تزيح من امامي كل هذه المناظر .

وانما الذي رأيته كان وجهاً أصفر شاحباً رقيقاً ويدين معروقتين خاليتين من الدم تراكمت عليهما الافرازات وصورة لفتاة رسمها انسان مقضي عليه بالهلاك .

بغداد   فريد فتيان

من معجم الالفاظ العامية العربية والدخيلة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في مصر وسوريا والبرازيل

[الغين]

غار – اي اسرع فصيحها (أغار) . واغار على الاعداء غارة دفع عنهم الخيل والمغوار الرجل المقاتل الكثير الغارات .

الغاغة – الضجة والضوضاء تحريف الغوغاء . ومعنى الغاغة الكثير المختلط من الناس والغوغاء فارسية

الغال – المغلاق وهو لا يفتح الا بالمفتاح كما في القاموس ومنه قولهم فلان مفتاح للخير مغلاق للشر . والقفل اداة من حديد تجمع بين طرفي ما يراد اقفاله بادخال زندها المنعطف فيهما وتوثيقها بالمفتاح . والغلق ما يغلق به الباب وهو المفتاح اذا عسر بالفتح .

غب الماء – اذا شربه من غير تنفس فصيحها عب • واما غبت الماشية فاذا شربت يوماً وظمئت يوماً •

غبي الرجل– اذا اغمي عليه أي غشي عليه •وهي تحريفها وغبي من الغباوة .

الغجر – طائفة همجية كالنور وهي معروفة بغلاظة طباعها من لفظة تركية – والنور فارسية (نورده) بمعنى الرحالة – والزط تحريف الجت اصل القبيلة الهندية التي كانت كثيرة الثورات فابعدت وتفرقت في اصقاع الارض ،

الغدا – طعام الغدوة فاستعمله المولدون لطعام الظهر وفي الفصيح الهجوري وهو الطعام يؤكل نصف النهار .

غط القلم في الدواة – فصيحها مده . والمدة غطة القلم خاصة – وغط عامة لغمس الشيء في الماء وتغويصه فيه •

غطيطة – الغمام الرقيق يغشى الارض فصيحه الضبابة •

غف عليه – اذا هجم حباً وحفاوة فصيحها غفق عليه .

الغمة – السلب من الذبيحة اهابها واكرعها وبطنها – وهي عبارة عن رؤوس واكرع وكروش محشوة تطبخ وتؤكل • وقد ذكرها السراج الوراق باسم مغمومات اذ قال :

ومغمومات روس باكرتنا ... بطيب شذاً ولا طيب العروس
فقمت بما يليق لها فقالت ... يحق لك القيام على الرؤوس

وذكرها صلاح الدين الصفدي بقوله :

رب طباخ به نضجت ... مهجات غير مرحومة
سلوتي عنه مزورة ... ابداً والنفس مغمومة

والمزورة كما هي في شفاء الغليل للخفاجي : بوزن المفعول مرقة يطعمها المريض مولدة • وقال الفقهاء في الايمان هي ما يطبخ خالياً من الادهان ، قال كشاجم :

شيخ لنا من مشايخ الكوفه ... نسبته للمريض موصوفه
لو حول الله قمله غنماً ... ما طمع الناس منه في صوفه

يعني ان نسبته مزورة لا اصل لها . وهذه من ابيات المعاني – وقال الخفاجي في شفاء الغليل : غم وغمة معروف واهل المدينة يسمون المجال المغطى مغموماً وهو من هذا . كذا في شروح بعض الدواوين القديمة . والناس يسمون بعض اللحوم المشوية (مغمومة) وهو صحيح ايضاً لكنه مولد ووقع في اشعار المتأخرين . وقال ابن زكريا الرازي : سموم الاطعمة ثلاثة اكل شواء مغموم ولبن فاسد وسمك منتن .

والمكرشة طعام من لحم وغيره في قطعة من الكرش وكرش عمل المكرشة . والجُزارة اطرافها بجزر اي اليدين والرجلين والراس سميت بذلك لان الجزار يأخذها فهي جزارته •

غنت المرأة للولد لينام – فصيحها همهمت المرأة في رأس الصبي نومته بصوت ترققه له .

غودنت الحبلى ونحوها –اذا غثت نفسها فصيحها فرثت الحبلى وتفرثت اذا غثت نفسها من الوحام ونحوه • وغودن غيرها اذا غشي او أغمي عليه

غيّب ما قرأه – اذا حفظه غيباً اي عن ظهر قلبه • وبمعناها استظهره

[الفاء]

فادوس وفيدوس – كلمة افرنجية قال فيها الاتراك (فايدوس) وفصيحها المطلة •

فارة – اداة للنجار اشبه شكلها بالفارة فسميت بها وجوز استعمالها تيمور باشا العلامة الشهير وفصيحها المسفن وهو ما ينحت به العود ونحوه قال امروء القيس •

وجاء خفياً يسفن الارض بطنه ... ترى الترب منه لازقاً كل ملزق

فاش الشيء على وجه الماء – اذا طفا – وفاش في الفصيح اذا افتخر الرجل وتمدح بما ليس فيه – وفاش اذا صار يتوعد ويبرق ولعلها من فايش اذا اكثر الوعيد في القتال ثم لم يفعل ، وتقول العامة بهذا المعنى : (تمرجل) •

فاص – تكبر وتبرج •

فاكونه – افرنسيتها فركون Faurgon وفصيحها شاحنة .

الفتوش – طعام للمولدين يعمل من الخبز اليابس المنقوع بالماء والبصل وبعض الخضراوات وهو ابو مايح ايضاً ، وسماه بعضهم الثريد مع ان الثريد هو الخبز المفتوت المبلول بالمرق ومنه المثل (كيف انت وقصعة من ثريد) والزريقاء الثريد •

الفتيـلة – لحمة مستطيلة ممتدة مع الصلب تكون رخصة فصيحها السايلة .

فحت الرائحة – اذا انتشرت ولعلها تحريف فغ الطيب اذا تضوع او تحريف فاح وهي اقرب الى الاصل .

فرتيكة – من كلمة فوركيتا Forchetta الايطالية – اداة ذات اصابع للاكل بها فحرفت بالقلب وتسمى الشوكة والمشك ، قال الشيخ ناصيف اليازجي من قصيدة في وصف مائدة افرنجية دعي اليها :

والسيخ يزحم في يدي فرتيكة قامت تدب كارجل السرطان
اهوي بها فتكاد تسقط من يدي لو لم اداركها بكفي الثاني
فكأنني بدوية نجدية تمشي على القبقاب بالفسطان

فرخ الحية – اي ولدها فصيحه الجارن .

فش الثوب – اذا ظهرت عليه دبوغ وفصيحها طمل الثوب اذا لطخ بدهن او دم ونحوهما .

فقيع التين – من السريانية بمعني التين قبل نضجه وهو الباكورة . ويسميه بعض العامة الديشور والديقور .

فكت عنه الحمي – اي تركته فصيحها اثلجت عنه .

فك عنه الرشح – اي تركه فصيحها انفغم الزكام اذا انفرج .

فلت الحيوان – ترك له مقوده ليذهب حيث يشاء فصيحها القى له الحبل على الغارب . وجاره واجره رسنه تركه يصنع ما يشاء .

فلت الراعي رعيته – اذا اهملها وفصيحها جهل الوالي رعيته تركهم يفعلون ما شاؤوا ومثلها استبهل .

فلش الثوب – نشره وبسطه تحريف فرش وفي الايطالية كلمة فليشو Fluoso لعلها من العربية .

فلوكه وفلوكيه – بمعنى زورق وقارب وسنبوك وفلك وشختور تركيتها فلوقه او فلكه .

فنجان – لما تتناول به القهوة ونحوها تركيته فلجان . والبنكان فارسية فنجان الحجامة اي المحجمة .

الفلينة – سدادة القنينة ونحوها وهي الفدام قال العجاج :

كأن ذا فدامة منطفا قطف من اعنابه ما قطفا

فنجر عينيه – اي كبرهما غضباً ومثلها بلحق وفصيحها حملق ورأرأ – وجحظ اليه اذا حدد النظر – وحجمه بعينه احد اليه النظر – وندصت عينه جحظت وكادت تخرج من وقبها كما تندص عين الخنيق .

فنطازيه – ايطالية مأخوذة من اليونانية Phantasia بمعني عاش بترف او الشيء الذي يسر به كل انسان فيرادفها الترف وسعة العيش والتنعم .

الفوال – افرنجية ما يرمى على الوجه من القبعة (البرنيطة) فصيحه (اللثام) وهو النقاب المرسل على الفم – و (والنصيف) اذا كان على الانف اي مغطياً نصف الوجه – واللغام مثله قال الشاعر :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

الفوطه – فارسيتها (فوته) بمعنى متزر ومحزم والعامـة تستعملها للمنديل اليدوي وتسميها المحرمة ايضاً والمنشفة والمشوش والمحرمة تعريب مقرمة التركية .

فوفش الجوز – اذا فسد داخله ولم يبق فيه لب صحيح ومثلها حنحن وحدحد وفصيحها حمت الجوز ونحوه تغير وفسد .

الفيشه – افرنسية ما تغطي المرأة بها رأسهـا . ويسمونها الطرحة وهي الطيلسان ايضاً واللفاع .

[القاف]

القادومية – الطريق المختصر لعلها تحريف (القدمية) اي طريق القدم التي يمشي فيها المترجل اختصاراً لطريقه الطويلة فصيحهـا المقرب والمقربة اي الطريق المختصر .

قارشه – اي قاربه ولا تقارشه اي ابتعد عنه من (قاريشمق) التركية بمعنى الاختلاط .

القافمة والقفاعة – الكوة من السطح خاصة وفصيحها (الجلي) .

قاقت الدجاجة – اذا صوتت تحريف قاقأت اذا صوتت عند البيض وفي المخصص لابن سيده قوقت .

قال الناس خيره وشره – اذا تباعد عنهم فهو قايل النـاس خيره وشره فصيحه رجل زحل من يتنحى عن العمل حسناً كان او قبيحاً .

قبقاب – هو نوع من الحذاء الخشبي عندنا وقد عرفه الاندلسيون كما في نفح الطيب للمقري وهو محدث بعد العصر الاول ولفظه مولد ايضاً لم يسمع من العرب كما قاله الازهري . ولابن هانئ الاندلسي في قبقاب :

كنت غصناً بين الرياض رطيباً مائس العطف من غناء الحمام
صرت احكي عداك في الذل اذ صرت منها اداس بالاقدام

القبو – البناء المستطيل المعقود بالحجارة من قبا البنـاء اذا رفعه والازج بمعناه .

القبا – يقولون هذا الشيء قبا اي غليظ وكريه من (قابا) او (قبا) التركية بمعنى كثيف وسمج وغليظ . والقباء ثوب طويل يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه قال الشاعر في خياط اعور :

خاط لي زيد قبا ياليت عينيه سوا

والقباء عند المولدين القنباز

القبان – بمعنى القسطاس والميزان فارسية (كبان) والفرق بينهما ان الميزان اما ان يرفع باليد او ترتفع كفتاه وتنخفضان وهو معلق . والقبان يزن ببيضة على ذراع طويلة . او يكون ملقى على الارض وله ذراع وبيضة يقولون (فلان مثل بيضة القبان) اي يعدل المسائل . وما ألطف قول شيخ احمد البربير البيروتي الذي جمعت له ديوان شعر رقيق كبير في قاض مرتشٍ :

ولم ار في البرية مثل شخص اذا « برطلته » اصلحت شانه
بخردلة (كميزان) اللاكي يمثل كفتاه لنا لسانه

قتلت من التعب ومت منه – اذا اعييت وعجزت وبمعناهـا باحت وبلّحت وتبلحت تقول حمل على البعير حتى بلح اي انقطع من الاعياء .

قتلت الدبة من الركض – اي قتلت الدابة من الركض اذا انهكها ركضاً وفصيحها انهج الدابة سار عليها حتى انبهرت .

قربينه – تركيتها (قارا بينه) وهي بندقية (بارودة) قصيرة واسعة الفوهة .

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

العقل السليم عند ديكارت

بقلم ابو مدين الشافعي
ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول

●

افتتح ديكارت مقالته في المنهج بقوله : « ان العقل السليم هو احسن الاشياء توزيعاً في هذا العالم » . وكل مقصوده من هذه الجملة هو ان يبين تساوي الناس في العقل ، وعدم تفاوتهم فيه ، وانما الاختلاف المشاهد بين عقول الناس راجع الى شيء واحد ، هو اختلاف مناهجهم في التفكير – ظل البعض يتخبط من تفكير عقيم ولم يصل الى نتيجة لانه ضل الطريق المستقيم بعدم اتباعه خطة مرسومة بحكمة ليسير عليها ، فهو يسير دون ان يعرف الى اين ، ويتحسس طريقاً ليعثر عليها بالصدفة . والبعض الاخر اسعده الحظ فظفر صدفة بالطريق المؤدية الى الغاية المنشودة ، فوصل بسرعة وانتج تفكيره في مدة قصيرة ما انتجه الغير في العمر كله .

واراد ديكارت ان يخدم الانسانية ، وان يوفر عليها اتعاب التخبط في التحسسات الطويلة ، واراد ان يضع لها منهجا – وكان الناس يجهلون ان الاتعاب التي يلاقونها آتية من عدم تصميمهم طريق التفكير قبل الشروع فيه . وكانوا ينسبون تفاوت انتاجهم الى تفاوت في العقل نفسه ، وكانوا يعتقدون ان الداء طبيعي ، والنقص اصلي لا يمكن دفعها – جاء ديكارت وبين باول جملة في المقالة ان النقص عرض وليس من الفكر نفسه ، وانما هو في طريقة التفكير ، وان هذا الداء يمكن علاجه ، وهذا النقص يمكن استدراكه بوضع منهج التفكير : فكانت المقالة في المنهج – ويستدل ديكارت على صحة منهجه بانه وصل بتأمله ساعات محدودة في السنة الى انشاء فلسفة خاصة . ويريد ديكارت ان يخدم العلم ، فهو يريد ان يوضح للناس الطريق المستقيم الذي يعين على الانتاج ، وهو يفضح الذين يريدون ان يحتفظوا بالفضل الموهوم مدعين ان التفوق فطري وطبيعي ، فلا يمكن للناس كلهم ان يفكروا ، وان يتعلموا ما تعلمته طائفة خاصة ، فهذه ارستقراطية كاذبة ، ثار عليها ديكارت صارخاً : العقل حق مشاع بين جميع الافراد بطبيعة حالهم . . .

وقبل ان نحاول شرح هذه الجملة ، التي هي بمثابة الاساس لفلسفة ديكارت ومنهجه في التفكير ، يجب ان نحدد معاني اهم مفرداتها . فاول كلمة (bon sens) يتوقف عليها معنى الجملة كلها . فالمقصود منها ، حسب ما يظهر من سياق كلام ديكارت هو الادراك البديهي او العقل السليم الطبيعي الذي لا يعول على دراسة مطولة للمنطق والمقولات . ويرى ديكارت ان العقل السليم شيء وزع في هذا العالم توزيعاً عادلا بين الناس وكأنه يقول تفاوت الناس في كل شيء الا فيما يرجع الى المعرفة الطبيعية البديهية . فهذه كانت حظا مشتركا بينهم : لا يزيد فيها احد على الاخر . وعبارة Bon sens تفيد معنى الادراك الطبيعي او قوة التمييز الفطرية بين الصحيح والمزيف .

ولكن من اين اتت ديكارت هذه الفكرة ؟ او بعبارة اخرى كيف عرف ان الادراك السليم حق مشترك بين جميع الناس؟ فنحن نعلم ان ديكارت اهتم كثيراً بالتأمل في احوال الناس في اسفاره وتنقلاته ، وعاش بين طبقات مختلفة ، ولم يقتصر على الدراسة في الكتب ، ولكنه اعتنى كثيراً بكتاب الكون ، ويقول في هذا (Discours de la Methode Gigord 1935 p.٣٨)

« لاجل هذا اسرعت بعد ما اتاح لي السن ان اتحرر من ربقة اساتذتي ، وطلقت بتاتا دراسة الادب ، وعزمت على الا ابحث علما خارجا عني او في غير كتاب الكون . وقضيت باقي شبابي في السفر . » فبهذه الطريقة استطاع ديكارت ان يعرف ما لم يكن يتوصل اليه غيره خصوصا في ذلك الوقت ، فانه وجد فرصة دراسة نفوس الناس ، واغتنم فرصة وجوده في الجيش ، وكان دائماً يلاحظ مواقف الذين عاشوا حوله ، وبهذه الطريقة توصل الى هذه النتيجة القيمة « العقل السليم حق مشترك بالتساوي على جميع الناس ، وكل واحد يعتقد أنه زود باكثر ما يمكن من العقل حتى ان الناس الذين لا يكتفون بسهولة من اي شيء لم يتعودوا ان يرغبوا في زيادة من

سلامة العقل . » وقد سبق ديكارت الى هـذه الملاحظة بعض الكتاب مثل: Régnier، و Montaigne، و Charron واشتهرت كلمة LaRochefoucauld اذ قال: يشكو الكل من ذاكرته وليس هناك من يشكو من ذكائه » وان كان ديكارت يبتسم امام هذا الطبع البشري، فلم يتركه يمر دون ان يستخرج منه فائدة اذ يقول: (نفس المصدر ص ٢٣) ويبدو انه لا يمكن للناس كلهم ان يتفقوا على ضلالة ولكن هذا الاتفاق يدل على ان العقل السليم هو بالطبع متساو عند كل الناس »

ولكن لا ينكر احد عقول الناس كما نشاهدها متفاوتة. فما هو مصدر هذا التفاوت اذا لم يكن من الطبيعة نفسها؟ ويقول ديكارت في هذا: « وهكذا فان اختلاف الافكار لا يأتي من ان البعض اعقل من البعض ولكن لاننا ننهج في تفكيرنا مناهج مختلفة ولا نعتبر الاشياء بطريقة واحدة « وليس من الكافي ان يكون لنا فكر جيد ولكن المهم هو ان نستعمله استعمالا جيداً » والاختلاف المشاهد بين الناس كلهم راجع الى الاختلاف في كيفية التفكير واما الاصل فهو واحد، ولهذا لا يضير نظرية ديكارت ان يشاهد مناطقة (Port-Royal) (المقالة الاولى) « ان اصابة الحكم مسألة نادرة جداً، فلا تلقى في كل محل الا افكاراً مخطئة ليس لها قوة تمييز الحقيقة » فديكارت يرد على هذا بنظريته ان الافكار تتحول عن أصلها وتفقد من جودتها عند تكوينها وتطورها وذلك لعدم وجود منهج التفكير.

ويحاول ديكارت ان يبرهن على صحة نظريته في ان اختلاف العقل عارض وناتج من سوء طرقنا في التفكير بامرين:

اولا: ان أجهل الناس قادر على فهم اشياء عويصة اذا وجه توجيهاً منهجياً ملائماً، ويقول انه لا يدعي ان فكره احسن من فكر « العـوام » بل بالعكس فهو يتمنى ان تكون له سرعة البداهـة الموجودة عندهم، وان يكون تصوره صافياً واضحاً كتصورهم، وان تكون له ذاكرة مرنة متسعة كما هي عندهم.

واما الامر الثاني الذي دفع ديكارت الى الاعتقاد بتساوي الناس في سلامة العقل هو ملاحظته ان اعلم النـاس قابل للخطأ، وكذلك أفضل الناس اخلاقاً معرض للوقوع في النقائص، والذين يسيرون ببطء يستطيعون ان يتقدموا اكثر اذا هم اتبعـوا دائماً الطريق المستقيم بخلاف الذين يسرعون، او يبعدون عن الطريق المستقيم. واخذ ديكارت من هنا خاصية من خواص منهجه، وهي التأمل في الحكم، وعدم الاستعجال الذي يراه من اسباب الخطأ وزيادة على هاتين الملاحظتين الشخصيتين لديكارت نفسه،

فانه يستدل على شيوع العقل السليم في الناس كلهم بفكرة عامة عند الفلاسفة كلهم، وهي ان الانسان حيوان ناطق وهـو يفوق الحيوانات بالنطق، والفهم، فلا بد من وجود أداة للفهم، وهي واحدة في طبيعتها عند الناس كلهم. فهي الشيء الوحيد الذي كنا به اناساً وتميزنا به عن البهائم اريد ان اعتقد ان هذه الاداة او العقل كامل عند كل انسان واتفق بهذا مع عامة الفلاسفة الذين يقولون ان الفروق موجودة بين الاعراض وحدها ولا توجد بين الصـور او طبائع افراد نوع واحد » وكانت لهـذه النظرية أهمية سلبية هدمت وضـع التفكير الذي كان قائماً قبل ديكارت: كانت عقول العلماء قبل ديكارت فاسدة بالحشو والافكار المزيفـة التي جاءت عن طريق المنطق الارسطي الذي لا يصلح ان يكون منهجاً للتفكير. ولهذا اشتد ديكارت في مطالبته بالرجوع الى العقـل السليم، وهذا العقل السليم لا يوجد الا عند الرجل العامي الذي ما زال على فطرة عقله لم يفسده منطق أرسطو ولا حشو الفقهاء (doctes).

فديكارت يطالب جاداً بالتماس الحقيقة من الرجل الساذج العاقل (Endoxe) الذي يشبه جحا عندنا، والاعراض عن الفقهاء، وذلك لان الساذج ما زال محتفظاً بسلامة عقله ونقاء ذهنه، فهو يعطينا المعرفة البديهية اليقينية فنستفيد من نور عقله الطبيعي (La lumière naturelle) الذي لم تطمسه الفلسفة المدرسية. ويؤكد ديكارت انه يفضل هذه المعرفة عن غيرها. لانه لا ينظر الى مصدر الحقيقة بل الذي يهمه هو الحقيقة نفسها، ويضرب لذلك مثلاً بقطعة من النقود التي تحتفظ بقيمتها سواء أجاءت من كيس الشريف ام من كيس الوضيع.

ونجد لهذه الفكرة أثراً في منهج ديكارت بل هي الاساس الذي يقوم عليه. فاول قاعدة من القواعد الاربع تقوم على فكرة الوضوح وعدم التسرع والبداهة وهو يعرف البداهة في كتاب القواعد بقوله: لا اقصد بالحدس ادراك الحواس ومشاهداتها المتغيرة ولا الاحكام الخداعة التي تصدر عن الخيـال السيء التصرف. ولكن المقصود من الحدس ما يدركه ذهن سليم ومنتبه، ويجب ان يصل هذا الادراك الى درجة من البساطة والوضوح حتى لا يبقى لنا شك فيما ندركه.

اعلن ديكارت بهذا ثورة على علماء عصره، ونادى بالرجوع الى الاصل الطبيعي، وهذه الثورة الفكرية تشبه الثورة الاجتماعية التي سيقول بها روسو من بعده، وقال بها مارتين لوثر في الدين من قبله. واذا قال روسو بالمساواة في السياسة، فان ديكارت مهد

له باعلان الديمقراطية في العقل ليس هناك ارستقراطية فكرية ، بل هناك مساواة تامة ، وحق مشاع بين جميع الافراد على السواء ، وما الشك الديكارتي الا محاولة الرجوع الى الحالة الطبيعية ، فهو ينسى كل ما تعلمه ويبدأ تفكيره من الاول بالاشياء البديهية التي يدركها كل انسان مهما كانت درجة علمه منخفضة ، واول مبدأ للفلسفة الديكارتية هو اشك فانا موجود مفكر — والمهم عند ديكارت هو الربط بين الشك والتفكير الذي اطلقه على كل العمليات النفسية من ارادية وانفعالية وغيرها . والمقصود عند ديكارت هو اثبات الشعور الذي اعتبره اول دليل على الوجود اذ بالشعور نتوصل الى ادراك وجود الذات التي هي اساس الوجود عند ديكارت . والشعور بالذات لا يكون بالفعل الارادي الذي هو عملية نفسية تربط الذات بما هو غير الذات . وانما الشعور بالوجود يكون عند الحيرة والتردد والشك — فالذات كذات مستقلة عن كل موجود آخر هي الذات الشاكة او المنفعلة على العموم . والشعور بالذات انما يتم في هذا القول : « أشعر » — و« أنا » عند العقل السليم الذي يخاطبه ديكارت لا تنفصل عن عملية الشعور التي سماها ديكارت تفكيراً ، والشعور بالانا كذات (Le moi) يسبق في الترتيب الزمني الشعور بالانا كفاعل (Le «Je») ، والذي يقصده ديكارت في كلامه عن « انا اشك » هي العملية النفسية الشعورية التي تحاول ادراك وجود الذات . وهذه العملية النفسية هي اول خطوة للشعور اذ نبدأ كلنا بادراك وجود جسمنا بعد ما يكون مر على وجودنا وقت طويل من غير ان يكون لدينا شعور واضح بهذا الوجود الذاتي الذي يقوم على الشعور بوجود الجسم . وما علينا الا ان نتذكر بعض مواقفنا ونحن اطفال عندما كنا نطيل النظر الى صورتنا المنعكسة على مرآة ، اذ كنا نشعر بحالة غريبة قريبة من الشك في وجودنا وعبر عن ذلك ديكارت بقوله في المقالة التأملية الاولى : ولكن شيطاناً ماكراً يبذل كل حيلة ليخدعني دائماً ، ليس هنا شك في اني كائن موجود . . . » فهذا التردد في ادراك الذات هو الذي يعنيه ديكارت ، وجعله الاساس الاول للفلسفة التي تحاول دائماً ان تقف بها على عملية المعرفة الطبيعية في ابسط مظاهرها كما يتجلى ذلك فيما سماه بالعقل السليم .

واثبت ديكارت وجود « الانا » باثبات صفة له ، وهي الشك او التفكير : اشك فأنا موجود مفكر (Je suis pensant) حدس لا يأتي عن طريق قياس وانما هو بسيط يدركه اي شخص فعندما ننسب صفة الى شيء ، فمجرد النسبة تبرهن على وجود المنسوب اليه — فالحكم بوجودي مستفاد من نسبة الشك الي ، فصفة الفكر الموصوف بها الشعور بالانا الذاتي Le moi هو الذي يوصلني الى ادراك وجود الذات كما ان الانا الفاعل Le «Je» سيؤدي بي الى ادراك وجود الموضوع الذي نحدد اتجاه نشاطنا بالنسبة اليه والانا الفاعل الذي ينسب اليه توجيه النشاط والفعل وتغيير موقف الذات باختلاف المواقف هو الذي يمكن ان نصفه بالانا المريد . . .

وبهذا نرى ان ديكارت وصل الى ادق الملاحظات العلمية والفلسفية بالتعويل على العقل السليم والابتعاد عن كل المقولات الارسطية وما يتفرع عنها من مشاكل منطقية وكانت ثورة ديكارت اعنف ثورة بقيت آثارها متينة وستبقى خالدة خلود العقل السليم الذي كان توزيعه بين الناس توزيعاً عادلا . . .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

البناؤون

للشاعر الاميركي لونكفلو

ترجمة نجيب الطيار

عطا

كلهم معماريون ... للقدر
يشتغلون في جدران الزمن
بعضهم باعماله العظيمة المتعددة
وآخرون بالشعر والزخرفة .

لا شيء ناقص او غير نافع
كل شيء في موضعه بديع
والذي يظهر بسيطاً
انما يقوي البقية ويسندها

فالبناء الذي نرفع عماده
قد هيأ الزمن مواده
والاحجار التي نشيد بها
هي ايامنا : الحاضرة والسالفة

وهذه بالشكل والطراز المرغوب
لا تترك بينها فجوات فارغة مختفية
ولو ان الناس لا يرون ذلك
فمثل هذه الاشياء ستظل في خفاء

في ايام الفن الغابرة
عمل البناؤون بمنتهى الاعتناء
كل جزء مهما صغر في البناء
حتى الاجزاء المستترة
(معتقدين) ان الالهة ترى كل مكان

دعنا نقوم بعملنا جيداً
فنتقن الظاهر والباطن
نبني بيوتاً ترضى عنها الالهة
جميلة ، كاملة ، ونظيفة

وبغير هذا فحياتنا ناقصة
ونقف على جدران الزمن
وما تحتنا يكون واهياً
فتتعثر اقدامنا وتزل
حينما نريد ان نصعد

ابن اليوم اذاً بقوة وتأكيد
وعلى اساس ثابت مكين
وغداً عندما تصعد
تعلو بحفظ وامان ..

بهذا وحده يمكننا ان نبلغ
ونصل هاتيك الذرى
حيث ترى العين العالم كسهل واحد فسيح
وتتأمل في افق السماء الواسع اللانهائي



جون روسكن

منذ ايام احس بسأم عنيف وبضجر مطبق على صدري لا اعرف له سبباً .

وكان الاختبار قد علمني ان خير علاج للنفس وافضل انيس للفكر هو المكتبة فرجعت اليها فانقذتني مما كنت فيه اذ وقعت على كتاب في بحث (ديانة الجمال) لمؤلفه الكاتب الانكليزي والنقادة الفني الاشهر جون روسكن . وكأن عنوان الكتاب وحده انعش نفسي واطمأنها فاستويت على كرسي قابضاً على هذه اللقيا الغالية بكلتا يدي واخذت اتصفح هذا الكتاب بلذة ونهم . وروسكن اسم جديد الى حد ما على سمعنا، مجهول في ادبنا فصاحبه هو احد الافذاذ القلائل الذين قاموا بنهضة فكرية في امة ونجحوا في فرض انفسهم عليها .

ظهر هذا النابغ وكانت الفكرة الفنية في بريطانيا ضعيفة فجاء روسكن وايقظها من سباتها بل خلق فيها نوعاً جديداً من الديانات هي ديانة الجمال وحب الطبيعة .

ولد روسكن يوم ولدت الآلة وبدأت تسيطر على الانسان وتجتاح كل ما تجده في طريقها من معالم الفكر لا سيما والآلة كما نعلم هي بنت الفكر الانكليزي وهناك مهدها ، فوقف روسكن في سبيلها يحد من سلطانها ويوقف من حدتها ويقول للانكليزي : اجل ان الآلة اداة مفيدة فاستعملها ولكن حذار ان تصبح عبداً لها فتغدو بدورك انت آلة ايضاً ، فعليك ان تظل انساناً تحس وتشعر وتفكر .

وكان دون ذلك الاهوال . كانت هناك الشركات القوية وكانت الرأسمالية وكانت جدة الآلة وتأثير سحرها على الناس . ولكن روسكن وقف يحارب ويجالد بايمان كل هذه القوى الجبارة حيناً بمحاضراته البليغة وحيناً بمؤلفاته العديدة نذكر منها Sésame et les lys طبع منه ثلاثون الف نسخة سنوياً بقيمة ١٨٠ الف فرنك ثم كتاب « الفنانون المحدثون » كان ريعه مائة وخمسين الف فرنك « ومشاعل الهندسة السبعة » بلغ ريعه خمسة وسبعين الف فرنك وغير ذلك ولكي ينجح في نشر فكرته كان يبذل كل ما يربحه من مؤلفاته في سبيل ذلك مثل تأسيس نواد ومعاهد لالقاء محاضراته ومتاحف للصور والآثار . فاصبح له تلاميذ ومريدون ينشرون تعاليمه واقام متاحف فنية في مختلف المقاطعات البريطانية .

وكان الاسلوب في النقد الفني محدوداً فخلق نوعاً جديداً فيه تحليل نفسي وملاحظة دقيقة في كل جزء من اجزاء القطعة الفنية مستلخصاً منها الفكرة المعنوية والناحية الانسانية حتى بلغ من الدراسة الفنية ان يكتب الصفحات في تحليل انحناءة رأس او انسكاب خصلة شعر او ثنيات ثوب وما فيها من انسدال او حركة تدل على تأثير صاحبها ونفسيته .

وقد اقام تعاليمه على دعائم ثلاث : الكتابة والخطابة وادارة المصانع فهو بذلك داعية للجمال ومهذب ومصلح اجتماعي ، وكانت تظهر دعوته يومذاك كدعوة رجعية لانها جاءت تصد الآلة وتحد من نفوذها ، وقد قال في ذلك : « ان من السهل على الانسان ان يتحول لآلة ويساوي عملها ولكن عندما يعمل بروح رجل فان عمله يحمل طابعاً فيه معنى الانسانية ، والشبه بينهما كقصيدة فهمت وتليت بشعور من انسان وبين قصيدة « تتلوها ببغاء » .

وكان لتعاليمه هذه تأثير عميق في نفوس سامعيه الذين يتلقفونها بتقوى وورع كأنها قطرات من دماء الشهداء . كما انه كان يطبع من كتبه سنوياً ثلاثين الف نسخة تباع باثمان مرتفعة تبلغ مائة الف فرنك سنوياً ناشرة في انحاء بريطانيا فكرة الجمال والفن والحياة . وكان هذا المال يبذل في سبيل تغذية مشروع جديد لمحاربة الآلة ، وهو تأسيس مصنع للغزل والنسيج اليدوي الذي كان من تقاليد الانكليز القدماء . وقد دعاه مشروع (سان جورج كيلد) ثم اسس شركة ادبية للمطالعات الثقافية والاجتماعية وكان لها مراكز في لندن وغلاسكو وليفربول وغيرها . ثم اسس مدارس لتعليم

الرسم والزخرفة والهندسة وعلم بنفسه الرسم فيها فخلق حوله كتلة قوية واصبحله انصار وبلغ مسامعه انصناعة النسيج وحفر الخشب والدنتلا في مقاطعة (واستمورلند) كادت تتلاشى امام الآلة . فخف لهذه الجبهة يشن حرباً جديدة مؤسساً فيها مصنعا في منطقة زراعية وقد ابتاع ارضاً لهذه الغـاية بقيمة خمسين الف فرنك في (ميكلي) كما ان بعض المنتمين له تبرعوا باراض صخرية وقد وجدوا لهم ارضاً في (بارموث) وغيرها . ولكي يضمن لمشروعه هذا النجاح جاءته فكرة شيوعية فقام بتوزيع هذه الارض بين اتباعه يعمل كل منهم في حرثها واصلاحها ليختبر تفكيره الاجتماعي في الاسلوب التعاوني بشرط ان يطبقوا مبادئه في حب الجمـال والارض وان لا يدعوا دواليب الغزل وآلات النسيـج الخشبية القديمة تقف عن دورانها امام الآلة الحديثة الصماء وان تستمر تلك الايدي البشرية اللطيفة في حركتها الطرية المعنوية فتحيا مزدهرة وتعيش معها اسر كثيرة تحمل معها تقاليد الامة وما تشعر به من جمال خاص بها تجد فيه صورتهـا وشخصيتها لان الامة التي تفقد شخصيتها يكتب لها الانقراض . وخشية ان تسيطر الآلة على امته قام بحملة جديدة غايتها اقامة متاحف في اكثر المدن تضم الآثار الوطنية تمثل الكثير من الحياة الصناعية الوطنية ، وقد جعل متحفاً منها في جامعة اكسفورد ، التي كان استاذاً فيها لكي يمثل هذا التاريخ الجميل وان يكون ذلك للشباب هناك اداة تهذيب للعين والقلب والفكر .

وحينما عزم على مقارعة البخار ودخانه المزعج قال : « اننا سنحاول ان نبقي قطعة صغيرة من وطننا محتفظة بجمالها المطمئن الخير . ولا يكون لنا آلة تجارية تشوه هذا الجمـال ولا نريد ان نصبح مخلوقات بدون ارادة ولا فكر . ولا ان يصبح عندنا مرضى وعاطلون عن العمل لتحيا الآلة لافراد فقط » .

لقد اعلن حرباً شعواء على القطر الحديدية والمعامل ودخانها الاسود خشية ان تشوه من نضرة المناظر التي تمر بهـا . فارغم الحكومة بحملاته الشديدة على تحويل الخطوط لمكان آخر تبقى لبعض وطنه بريطانيا جماله وطبيعته الساحرة . وقد اعلن احد كبار علماء الاجتماع « هاريسون » ما معناه : ان روسكن هو من ألمع العباقرة الانكليز وهو الروح الملهمة بيننا فعندما نقف امام متحف فني او اثري ونعجب نذكر روسكن وعندما نقف مأخوذين امام جمال الطبيعة نذكر روسكن ودفاعه عنها وحمايته لها . »

وقد بلغ من ولعه بالطبيعة ان اصبح يرى الجمال الرائع في اصغر واتفه موجوداتها فهو قد نفذ بعبقريته الى ابعد اغوارها والى الصميم منها فامتزج بها وامتزجت به فاذا الملاحظة قد وصلت عنده حداً قل عند سواه فاضحى يرى الجمـال حتى في الحشيش الصغير التافه العالق بالصخور وعلى الجدران فيصوره لنا ويدلنا على جماله المحتجب عن عيوننا وهذا مثال منه :

« نحن وجدنا الجمال في الخضرة التي تثمر والتي تحمل الحب ، فما قولنا في تلك الحشائش الـتي لا تعطي هذا ولا ذاك ؟ في تلك التي تلتصق على الصخور وهي بغير ثمر ولا زهر ؟

اجل انها ليست متأنقة مترفة كالورود والرياحين ولكنها تبقى مع تواضعها خضراء يانعة على اكثر الايام بينما تكون تلك قد ذوت وماتت واصبحت حطاماً . ايها النبت المتواضع ! انك اول هبة سمحاء حنون على هذه الارض . ان في عري هـذه النبتة الصامتة لجمال فتان تلبسه هذه الصخور الجرداء فتبدو زاهرة في ردائها زاهية .

انني لا اجد كلمة تعرب عن الجمال الذي احسه وانا ارى تلك الحشائش على الجدران القديمة وكيف تلامسهـا بنعومة ونبل كي تخفف عنها ذل العري ووطأة الحر والغبار . فهي تنطوي على معان ادبية كثيرة في الرقة والعطف والسماحة . كما وانها تكسوها جمالا ورونقاً لا يخفى اثره عن نظارنا عند وقع الشمس عليها تبدو كأنها طرزت بخيوط حريرية بيد مبدعة سماوية بين دقة الرسم وروعة اللون وحنان الرعشة عند الصباح .

واذا كان خفي جمالها عن الناس فهم لا يقطفونهـا كالورود لتكون اكاليل للحسان غير ان العصافير تتخذ منها اعشاشاً والولد التعب وسادة طرية لراحته ومنامه »

هذه لمحة موجزة عن جون روسكن رسول الجمـال في الجيل التاسع عشر الذي قام لوحده يرد عن امته خطر الضياع في المـادة فتألم كثيراً وجاهد كثيراً ولكنه انتصر اذ اوصى امته ان تستعمل الآلة ولكن عليها ان لا تكون عبداً ذليلاً لها .

مات روسكن عام ١٩٠٠ وهو يردد : « حب الجمال متعة علوية تحيينا الى الابد » .

مصطفى فروخ

الفهد الغريق

الى الشاعر الحسون يطفو غريقاً على بركة ماء في صبيحة صيف ملتهبة

•

يا شعراء الطير كيف العزاء هوى عن الروض أمير اللواء
هيّا انظروا حسونها المقتفى في الظرف واللطف وحسن الاداء
صدى الشعاع المترامي على سواحل الفجر ولج المساء
وحيٌ على الوادي ولحنٌ على خضر الروابي أنزلته السماء
وزورق للفن مشحونه طرائف السجع وسحرُ الغناء
هيّا انظروه بعد تطوافه على عباب الوهج فوق الضياء
طاوي الشراعين على بركةٍ دكناء جمّت من سماء الشتاء
أورده الحرُ لهـا شعلة طفت على الغمرة بعد انطفاء

*

لهفي عليه لفراغ الضحى منه ، ولهفي لفراغ العشاء
وللروابي الخضر ملهوفةً تصغي لنجواه ويصغي الفضاء
سوف تناديه ينابيعهـا في القيظ لكن من يجيب النداء
وترقبُ الاظـلال جولاتهُ فيها ، وتبقى مثل سمعي خلاء
ويطلع الفجر وفي جفنـه ما في جفوني من لهيب وماء

*

وأنتمُ يا شعراء الربى ألم يرعكم وقع هذا البلاء ؟!
ما لي أراكم لا اغاريدكم صرعى ولا الاظلال توحي البكاء
أيجهل الطائر معنى البكا علام لا يجهل معنى الغناء ؟!

فارس مراد سعد

جولة الأديب في شهر

حقيقة الوضع الادبي في العراق

بقلم صبري الزبيدي

من اعضاء جمعية الرابطة الادبية العلمية في النجف الاشرف

وقع نظري قبل أيام في الجزء الثاني للسنة الثالثة من مجلة الاديب الاغر على مقال لكاتب عراقي عن (الحيـاة الادبية في العراق) فقرأته بدقة وامعان وكلي أمل في انني سألمس بين سطوره شيئاً جديداً عن الحركة الادبية وتطورها في العراق لم اكن اعرفه من قبل ، واذا بي امام تلفيقات وأوهام ، ولكنني لما كنت عارفاً الكاتب وواقفاً على الغاية التي يرمي اليها من وراء مقاله هذا لاسيا وليس هو الاول من نوعه ، فلم أعجب من تشويهه وتمويهه على القراء ، وكنت ارغب في ان ارد عليه وذلك أظهاراً للحقيقة وخدمة للادب العراقي وأدبائه ، ولكنه قد سبقني في ذلك بعض الاخوان فرد عليه غير واحد في مجلة الزهراء البغدادية وما كان منه الا ان كتب في العدد (٣٩) من الزهراء نفسها مقالا عنوانه (حرية الصحافة وحرية الكتاب) ونظراً لما بين ما كتبه وبين ما نحن بصدده من علاقة فقد رأيت ان انقل الى قراء الاديب الاغر وللاستاذ الفاضل صاحب الاديب بعض فقراتـه بالحرف الواحد واليك نصها :

كنت قـد أرسلت لمجلة الاديب البيروتية مقالا عن الحيـاة الادبية في العراق ذكرت فيه اسماء الادباء والشعراء والصحفيين والمؤلفـين الذين قامت بجهودهم هذه الحيـاة وكذلك ذكرت اسماء اخرى قلت عند دراستها انها كانت متطفلة على هذه الحياة ، ولكن هذه المجلة نشرت هذا المقال بصورة ساوت فيهـا بين هؤلاء وهؤلاء فوضعت اسماء وحذفت اسماء وساوت بـين الجميع وحذفت ما شاء لها ان تحذف بصورة ظهر فيها هذا المقال مشوهاً عن حقيقته الاصلية وما أردته من دراسة صادقة لهذه الفترة من حياتنـا الادبية[1] هذا حادث واحد من آلاف الحوادث التي يقوم فيهـا أصحاب الصحف والمجلات في البلاد العربية فقط من اعتـداء على حرية وتشويه ما يرسل اليهم من أبحـاث ودراسات في شؤون مختلفة الخ .

هذا ما قاله « الكاتب العراقي المحترم » ليبرر بواسطتـه تلك المغالطات والحقائق المشوهة التي وردت في مقاله والتي كان لها اسوء الوقع في الاوساط الادبية البغدادية ، وقد علق على مقاله هـذا الاستاذ عبد الرزاق الهلالي معاون مدير التربية البـدنية في وزارة المعارف بمقال نشره في جريدة الاخبار البغدادية الغراء الصادرة في اليوم الثالث من شهر ايلول ذكر فيه كيف انه سبق له ان اجتمع بالاستاذ الكبير البير اديب على اثر نشر المقال الذي نحن بصدده وعاتبه على نشره لما فيه من مغالطات وحقائق مشوهة وذلك حين كان على رأس الوفد الرياضي العراقي الذي قصد لبنان الشقيق فكان جواب الاستاذ الفاضل صاحب الاديب الاغر له ما مضمونه (ترد الي بين حين وآخر رسائل من العراق المس فيها ناحية التحـيز وناحية التصيد في الماء العكر ، ولا اظن ان ما يكتب في تلك الرسائل خالص لوجه الله ومصلحة الادب والادباء في العراق ، ولكن ليس للاديب ذنب او تقصير فيما ينشر او يكتب ما دام اصحاب تلك الرسائل عراقيين وهم وحدهم يتحملون تبعة ما ينشرون وما الذي يعلمنـا صحة ما يرد الينا من هذه الرسائل او عدم صحته ؟ ان الذنب اذاً ان سكتم عن رد ما يدعو اليه هؤلاء من تأييد لجماعة او تحيز لفريق او دعوة لشخص الخ

هذا ما رواه الاستاذ الهلالي في مقاله نقلا عن الاستاذ البـير اديب ولا ادري كيف كان وقعه في نفس — الكاتب العراقي المحترم — وما جوابه عنه ؟ وانني وكل عراقي مثقف على ثقة بان قلم تحرير الاديب براء من هذه التهمة التي الصقها به « الكاتب المحترم » والا لو صح زعمه فلماذا عاد فارسل للاديب ثانية بمقال ثان عن «المجالس الادبية في بغداد» فنشر في عدد نوار ، في الوقت الذي هو على علم بتصرفات قلم تحرير المجلة وتشويهه للحقائق ، ولست

(١) الاديب : لعل الكاتب يقصد ما قامت به الاديب من حذف بعض فقرات تمس بعض الشخصيات ، دون ان تتناول اديهم وانتاجهم ، او من تصحيح بعض الاخطاء اللغوية .

اعلم هل ان ذلك الخلط والخبط الذي ورد في مقاله الثاني الذي تحدث فيه عن تلك المجالس الادبية الوهمية كان قد شوهه قلم تحرير المجلة فحذفت منه واضاف كما فعل في مقاله الاول ؟ ومع هذا فاترك الامر الى الاستاذ الكبير وارى خدمة للحقيقة وازالة لما علق باذهان البعض من مثقفي العراق الذين سبق لهم ان اطلعوا بدورهم على ما نقله اليهم — الكاتب المحترم — بمجلة الزهراء الذي المعنا اليه في صدر البحث فيميط اللثام عن هذه الاقصوصة الغريبة في بابها هذا ما اتمناه ويتمناه قراء الاديب في بغداد اجمع .

قلت ان بعض الاخوان قد ردوا على — الكاتب المحترم — في صحف ومجلات العراق، ولكن ردودهم وتعليقاتهم كلها كانت عرضية لم تف بالمرام، هذا ولم يتسن لقراء الاديب الاغر من اخواننا ابناء لبنان الشقيق الوقوف بدورهم على ما جاء في تلك التعليقات والردود ليكونوا على علم بتلك الحقائق المشوهة التي وردت في مقال — الكاتب المحترم — فرأيت لزاماً عليّ ان ارد على — الكاتب المحترم — ولو بكلمة على صفحات الاديب الزاهرة نفسها وغايتي من ذلك هي اطلاع القاري الكريم على المتناقضات الواردة في مقاله واعطائه صورة اجمالية صادقة عن الحياة الادبية في العراق والمجالس الادبية في بغداد) اذ ليس هناك مجال للتفصيل في مقالي هذا .

يقول « الكاتب المحترم » بعد ان اشار الى خمول وانزواء أدباء وشعراء العراق وعقم نتاجهم الادبي : (والدكتور مصطفى جواد تلميذ الكرملي قانع بوظيفة التدريس في دار المعلمين العالية بعد ان كان ممتازاً ببحوثه اللغوية الثمينة ونقده لاثار كبار الكتاب المصريين الخ) .

ليعلم — الكاتب المحترم — ان في العراق اليوم حركة ادبية تبشر بمستقبل زاهر ولا آراني بحاجة الان الى التدليل على ذلك فالدلائل والبراهين كثيرة وكثيرة، واما الدكتور العلامة فلم يكن ممن درسوا على الكرملي او اخذوا عنه حتى يصبح من تلاميذته كما خيل اليه خطأ، وانما جل ما هنالك من الامر هو انه زميل الكرملي وقد يحضر مجالسه اللغوية من وقت لاخر وهذا ليس معناه انه من تلاميذته، واني انصح — الكاتب المحترم — ان يراجع مجلة (لغة العرب) المحتجبة لصاحبها الاستاذ (الكرملي) ليرى بام عينيه ما كان قد كتبه بقلمه عن الدكتور مصطفى قبل ان يندفع بمثل هذه العجالة فيحكم عليه حكمه هذا ، كما ان الدكتور لم يكن قانعاً في وقت ما بوظيفة التدريس في دار المعلمين العالية

وقابعاً في داره بعيداً عن البحث والتنقيب ، ولو قيل ذلك في غيره من ادباء العراق وكتابه ربما كان في القول وجه من الصواب ، اذ تراه متأبطاً حقيبته التي لا يفارقها صباح مساء متنقلا من هذه المكتبة الى تلك باحثاً عن هذا المخطوط وذاك ومعقباً على اخطاء كبار اللغويين والمؤرخين من مصريين وغيرهم ، وهذه مجلة المعلم الجديد التي تصدرها وزارة المعارف العراقية ومجلة الحقوق التي تصدرها نقابة المحامين ومجلة غرفة تجارة بغداد والهاتف والغري في العراق وتلك الرسالة والثقافة والمقتطف في مصر ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق تنشر من حين لاخر بحوثه الممتعة النافعة واستدراكاته على المطبوعات التاريخية واللغوية والادبية القديمة منها والحديثة واني على استعداد لان اطلع الكاتب المحترم على بحوثه هذه متى طلب الي ذلك .

واما قوله : — وابراهيم صالح شكر صاحب جرائد اليقظة والزمان والمستقبل والناقد السياسي قانع الان بوظيفة في وزارة المعارف الخ . فهو يكشف للقراء بلا شك عن قصر باعه وخلطه في الموضوع .

فالاستاذ ابراهيم صالح شكر لم يكن صاحباً لجريدة (اليقظة) وانما صاحبها الاستاذ سلمان الصفواني وكان قد أصدرها في (الكاظمية) اولا ثم اصدر منها عدداً في بغداد محل جريدتيه (الوطن والاستقلال) أثر تعطيلهما ثم عطلت هي ايضاً وصدر كذلك عدد واحد منها محل جريدة (الزمان) للاستاذ ابراهيم صالح شكر وهي في كل الاحوال لصاحبها الاستاذ الصفواني ، كما له جريدتان أخريان وهما (المنبر العام والمعارف) ومن المصادفات الغريبة انها عطلت جميعها في العدد (١٣) وهو العدد المشؤوم ، هذا وان الاستاذ ابراهيم صالح شكر لم يكن يوماً ما موظفاً بوزارة المعارف وانما كان موظفاً بوزارة الداخلية بوظيفة (قائمقام) وآخر وظيفة كان قد شغلها هي منصب (مديرية مكتبة الاوقاف العامة ببغداد) الى ان وافاه الاجل المحتوم منذ اسابيع خلت .

ومن الغريب قوله : — اما الشعراء وفي طليعتهم الرصافي والشبيبيان وعلي الشرقي والملاح فقد تناساهم الشعب ولم يعد يذكر اسماءهم الا في معرض الذكرى والامثال لانهم هم انفسهم اصبحوا مجرد اشخاص عاديين الخ . في الوقت الذي نرى فيه كل واحد من هؤلاء السادة قد خلف لنا تراثاً ادبياً خالداً سيكون نبراساً للجيل القادم كما هو الان نبراس للجيل الحاضر، ولولا نتاجهم الادبي الذي يبشر بمستقبل زاهر ، لما وجدنا في العراق حركة ادبية

بشكلها الحاضر ، وليس ببدع فيما اذا قلت والحق يقال انهم ألمع درة في تاج الادب العراقي . ولست ادرى كيف يتناساهم الشعب ولم يعد يذكرهم الا في معرض الذكرى ؟ ومن المؤسف بل ومن المؤلم ان ينعتهم بقوله (لقد اصبحوا مجرد اشخاص عاديين) والرجل العادي حسبما هو متداول على الالسن في العراق ذلك الشخص الذي ليست له مكانة اجتماعية او ادبية محترمة الجانب ، وانما هو أحد سواد الناس الاخرين لا اكثر ، وهو في جميع الحالات قول رخيص مبتذل لا يرضى به كل عراقي ذي كرامة ومنزلة، وما كنت اتوقع سماع ذلك من شخص يدعي الادب لنفسه والاعتزاز بسمعة أدباء وطنه واعلام الفكر فيه .

يقول الكاتب : ان لاخواننا المصريين واللبنانيين والسوريين أثراً في تشجيع الحركة الادبية في العراق وخلق جو ادبي في بلادنا وذلك ببحوثهم ودراساتهم الادبية التي ينشرونها في الصحف العراقية ويحاضرون فيها فينبري ادباء العراق للجدل بعضهم مع البعض الاخر الخ ولا شك ان قوله هذا مغاير للحقيقة والامر الواقع ولا يؤيده في صحته واحد من العراقيين المتعلمين .

انني لا انكر الخدمات الجليلة التي يؤديها الاساتذة المحترمون الذين ينتدبون للتدريس بمعاهد العراق من الاقطار العربية الشقيقة سوريا ومصر ولبنان، ولكنني مع ذلك أكاد لا اتفق مع الكاتب وكل من يرتأي رأيه، اذ بذلك اكون كمن يريد ان يلبس الحقيقة ثوباً غير ثوبها ، لان مهمة كل استاذ تكاد تنحصر في القاء المحاضرات على طلاب المعهد الذي انتدب للتدريس فيه فقط وهذه لا يتعدى نطاقها باية حالة الجدران الخارجية المعهد بالمرة ، كما ليس لها تأثير في الحركة الادبية وتطورها في العراق. قط ، واكون شاكراً « للكاتب المحترم » لو يتفضل فيدلني على بحث واحد لا اكثر من تلك البحوث والدراسات التي نشرها احد هؤلاء الاساتذة فكان موضعاً للجدل بينه وبين غيره من ادباء وكتاب العراق لكي يؤمن القارىء بصحة تحقيقاته ووجهة نظره ولا يعدها ضربا من الخيال .

لو استعرض القارىء الكريم مقال «الكاتب المحترم» الذي انا بصدده وأمعن النظر فيه جيداً لما خرج باكثر من انه لولا جريدة البلاد التي كانت ولم تزل ميدانا فسيحاً لحملة الاقلام من الكتاب والادباء ولولا تشجيع صاحبها السيد « البطي » لهؤلاء ماديا وادبياً ومعنوياً، لما وجد اليوم في ربوع دجلة والفرات أديب أو كاتب جدير بالذكر والاهمية ، هذا ولو لم تعوز « الكاتب الفاضل » الجرأة والصراحة لقال قوله هذا في استاذه السيد «البطي» الذي هو أحد مستخدمي جريدته البلاد دون ما تردد أو وجل ولأراح نفسه والقراء من مثل هذا اللف والدوران ولو سئل كل قارىء منصف عما لمسه من مقال « صاحبنا المفضال » وما انتهى اليه بعد فراغه منه لما ذهب في الواقع غير المذهب الذي المعت اليه .

واما الاخبار الاسبوعية التي يزعم — الكاتب — ان السيد «البطي» كان قد أصدرها على غط عدد السياسة المصرية وبواسطتها ظهرت مجموعة طيبة من أدباء الشباب احتلوا الميدان العراقي وكان للسيد « البطي » فضل تقديم أدبهم الى الجمهور العراقي في جريدته هذه فلم يصدر منها في الحقيقة اكثر من (١٢) عدد أي انها والحالة هذه قد ماتت بعد صدورها بثلاثة اشهر فقط ولست اعلم حقاً كيف ظهرت بواسطتها مجموعة من ادباء الشباب احتلوا الميدان العراقي والحالة هذه ؟ والذي لا بد من ذكره بهذا الصدد هو ان هذا العدد الاسبوعي قد صدر بجهود ومعاونة الاستاذ «جبران ملكون» صاحب جريدة الاخبار البغدادية حالياً وشريك السيد «البطي» في جريدته البلاد حينذاك ، ومنذ فسخ الشركة بينهما والى الان لم يوفق السيد « البطي » الى استئناف عدده الاسبوعي بالرغم من مرور اكثر من ست سنوات ، وكان لزاماً على «الكاتب الفاضل» ان يشير الى خدمات السيد ملكون في هذا الباب ولا ينحاز الى جانب دون آخر .

يقول الكاتب الفاضل، ان هناك صحفاً اخرى ساهمت بالنهضة الادبية العراقية منها (النهضة) للاستاذ الصفواني و(الرأي العام) للشاعر الجواهري غير انها ماتت الواحدة تلو الاخرى وتوقفت عن الصدور الخ ولا بأس هنا من ان انبه — الكاتب — الى ان (النهضة) كانت لسان حال حزب النهضة في وقته ولا علاقة للاستاذ صفواني بها سوى انه كان قد تولى الاشراف على تحريرها لبضعة شهور ثم انفصل عنها على اثر خلاف وقع بينه وبين ادارة الحزب أدى الى نشر بيان من الطرفين فى الصحف المحلية باسباب ذلك الانفصال ، وأما (الرأي العام) فلم تتوقف عن الصدور ،بل كانت ولم تزل دائبة على خطتها القوية وهي اليوم من أمهات الصحف العراقية العاملة .

تحدث الكاتب عن المجالس الادبية في بغداد فاقتصرها على ثلاثة فيما اذا استثنينا منها مجالس القبول للسيدات ،التي هي في الحقيقة مجالس انس وتعارف لا مجالس ادب، والاول منها له صبغة اجتماعية اكثر مما هي أدبية ، اذ يتداول فيه رواده القضايا العامة وما يهم



حياة ابي العلاء المعري وفلسفته *

للمستشرق هنري لاووست – ٤٥ صفحة من الحجم الكبير
المهد الفرنسي بدمشق

في دمشق معهد فرنسي للدراسات الشرقية تنصرف فيه جماعة من المستشرقين الفرنسيين الشبان الى المباحث العربية والشرقية، وتقوم بقسطها في جلاء الغامض من التاريخ الادبي والفكري وفي اظهار الصفحات المجيدة من الماضي الى النور باجمل ثوب وابدع اخراج، وتصدر نشرات سنوية فخمة، وتساهم قدر المستطاع في حركة الاستشراق العالمية.

وقد شارك المعهد عام ١٩٣٦ الامة العربية في احتفالها بالذكرى الالفية للشاعر الخالد ابي الطيب المتنبي، واصدر دراسات قيمة في مواضيع مختلفة ساهم فيها نخبة من المستشرقين الفرنسيين، نذكر منهم الاساتذة ماسينيون وبلاشير ولاسيرف ولاووست.

* Henri Laoust : La vie et la philosophie d'Abou-l-Al'a Al-Maarri. Institut Français de Damas 1944

ومأثرة المعهد الفرنسي الاخيرة كتيب للاستاذ لاووست عن فيلسوف المعرة يمتاز بامور عديدة منها: ان المؤلف يعنى بالمراجع العربية عنايته بالمراجع الاجنبية وهي بادرة حسنة تبشر بافضل النتائج واخلص التعاون بين المحققين الاجانب والوطنيين. والاستاذ لاووست يمثل خير تمثيل مدرسة المستشرقين الفتية التي تسعى الى الحقيقة العلمية باناة وتجرد.

والبحث وان جاء مقتضباً بالنسبة الى المطولات التي كتبت عن ابي العلاء، ففي ايجازه بلاغة وجلاء. وهو دون شك يسد فراغاً في مباحث المستشرقين، فيلخص بدقة وبابواب واضحة حياة الفيلسوف والاطوار التي مر بها وآراءه الفلسفية. وهذا في غاية الاهمية للاجنبي الذي يود ان يكون لنفسه رأياً جلياً عن ابي العلاء، وان يعرف مكانه في الفلسفة العربية خاصة والفكر العالمي عامة

وجاءت الترجمة الفرنسية لابيات اللزوميات موفقة بارعة، فلم يفقد الاصل شيئاً من دقة المعنى بل زاد جلاء بنزع ما علق به في العربية من صور البديع اللفظي والمعنوي، فخلصت الفكرة من كل شائبة لفظية، وبرزت بثوبها الفرنسي بروزاً رشيقاً. واكثر الاستاذ لاووست من الاعتماد في تفصيل مذهب ابي العلاء الفلسفي على الدكتورين طه حسين وعمر فروخ. وليس هذا يعني ان مناحي الابتكار قليلة في الكتيب فللمؤلف نظرات صائبة، وتخريجات موفقة، تدل على سعة اطلاعه، وعلى انه وقف على اكثر ما عقد

البلد، وثانيها مجلس لهو وغناء وتواشيح وطرب فصاحبه مغن لا اديب وله شهرته الواسعة في الاوساط العراقية وثالثها هو مجلس استاذه السيد «البطي» بينما هنا وهناك في بغداد مجالس ادبية عامرة واشهرها (مجلس نادي القلم العراقي) الذي يضم كبار الادباء وفحول الشعراء، ويترأسه معالي الاستاذ محمد رضا الشبيبي رئيس مجلس النواب ومن اشهر المجالس الاخرى مجلس الدكتور محمد فاضل الجمالي مدير الخارجية العام ومجلس الاستاذ عبد المجيد محمود معاون مدير المحاسبات العام ومجلس معالي الاستاذ السيد عبد المهدي ومجلس الاستاذ الشاعر علي الشرقي رئيس مجلس التمييز الشرعي الجعفري ومجلس السيد طه الراوي استاذ الادب العربي بدار المعلمين العالية ومجلس آل الالوسي الكرام وهناك مجالس أدبية او صالونات أدبية ممتازة في بغداد كثيرة وكثيرة جداً لا نرى حاجة لتعدادها.

هذه كلمة بريئة لا أقصد بها غير اظهار الحقيقة واعطاء كل ذي حق حقه، وانني على علم من انها ستغيظ – الكاتب الفاضل – وبعض الاصدقاء الذين تناولهم البحث، ولكن وان كانت الحقائق مرة يجب ان تقال وكل ما ارجوه من الاخ – الكاتب الفاضل – هو ان يتريث في كتاباته في المستقبل وان يرفق بسمعة ادباء العراق وكتابه ولا يعكر الماء ليصطاد فيه، لان هناك قراء متتبعين يحاسبونه اذا دعت الحاجة حساباً عسيراً فعساه ان يتعظ وذكر ان نفعت الذكرى.

العراق – الكاظمية　　　　صبري الزبيدي

حول المعري من المباحث في مختلف اللغات، وهضم ذلك والقى على موضوعه نظرة شاملة فيها شيء كثير من الجدة ليقدم في قليل من الصفحات خلاصة ما عقده البحاثون البارعون حول ابرع مفكر عربي. ومبحث الاستاذ لاووست من الخطوات الجريئة التي تنقل ابا العلاء من الشهرة العربية الى الشهرة العالمية، فتقف الاديب الاجنبي العادي على ناحية مبتكرة من الفكر العربي الذي لم يكتف بالتقيد بما قالته الافلاطونية المحدثة، ولم يشل امام سلطة الفاغورية والمشائية والرواقية وانما عرف كيف يجمع كل ذلك ويأتي بنظريات كانت في حينها ثورة على التقاليد الفلسفية.

جبور عبد النور

اوج التحري عن حيثية ابي العلاء المعري

ليوسف البديعي – تحقيق الاستاذ ابراهيم كيلاني – ١٧٦ صفحة – منشورات المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق

مناسبة سعيدة هي هذه الذكرى الالفية، فقد استحثت على بعث تراث المعري في حد ما، ولكنه عظيم مع ذلك. واغرت بشي آخر لا يقل اهمية وقيمة عن احيـاء التراث نفسه. اغرت بمحاولة فهمه على عصرها وشقتها، ولم تكن محققة ابداً بل نجحت، ونجحت بمقدار لا يعد يسيراً.

وفي الحق ان بدعة هذه المهرجانات اتت بثمرات كبيرة لم تحتسب، بسبيل بعث تراث الفكر العربي وتفصيل هذا الفكر وشرحه، وكانت وسيلة اكبـر جدوى من اية الوسائل، التي اقترحت حتى اليوم ولم يكن من سبيل الى تحقيقها.

ولعل هذا الكتاب الذي هو اثر من آثار القرن السابع عشر الميلاد، من اجدر تلك المخلفات التي يهمنا احياؤها وبذلها للباحث اليوم. فقد وصلنا بعدد من كتب المعري المفقودة والتي في حكمها، وانتخب من شواردها ما يغني الباحث عن سائرهـا، كما مدنا بطائفة من الوان حياة المعري ليس جميعها ممـا استوعبته الترجمات الاخرى.

ولقد زاد به قيمة ان ناشره الاستاذ ابراهيم الكيلاني، فرغ لتحقيقه ونشره على مقتضى المنهج للنشر العلمي. والاستاذ الناشر – كما يظهر من التعليقات والهوامش والفهارس – احاطه بقسط كبير من عنايته، فقد حقق وصحح وقابل ورجح، فوفق احياناً بما يحمل على الثناء، واقعـد احياناً دونه بما يدعو الى المشاركة والتنبيه، وانا من بين هذا وهذا لا يسعني الا ان اشكر وان استميح.

وكم كان بودي ان يعطي الكتاب من جهده اكثر ممـا اعطاه، فليس القصد من احياء التراث النشر فقط الذي قد يعين على نشر الخطأ، بل النشر الذي يضمن الصواب او لا يبعد عنه.

ومن الخير ان اثبت هنا ما ارى لزاماً على اثباته: ورد في ص ٣ تعليق للناشر على قول البديعي «لما كنت بدمشق الشام في خدمة ابن الحسام» ما نصه «لم نعثر على ترجمته ولا شيء من اخباره، انما يذكر كامل الغزي ان من قضاة حلب السيد حسام مصطفى... فلعله ابن الحسام المذكور».

وهذا عجيب من الاستاذ الناشر – واكثر عجباً من الاستاذ سليم الجندي الذي قدم للكتاب ووقف على التعليقات – فابن الحسام شخصية لم تكن مغمورة حتى يتجزرها بهذا الشكل. فقد اوسع واسهب في ترجمته غير واحد، ولا سيما المحبي في خلاصة الاثر الذي يظهر ان الاستاذ الناشر عول عليه كثيراً ولا بأس من ان نثبت منها نتفاً يقتضيها الموضوع، ويتطلبها المقام، قال: هو عبد الرحمن بن حسام الدين المعروف بحسام زاده الرومي، مفتي الدولة العثمانية وواحد الدهر. ولي قضاء حلب فقدم اليها وسيرته بها مذكورة مشهورة، وكان الاديب يوسف البديعي الدمشقي نزيل حلب اذ ذاك من خواصه وندماء مجلسه، وباسمه ألف كتابيه ذكرى حبيب والصبح المنبي وترجمه بترجمة مستقلة، ثم نقل من قضاء حلب الى قضاء الشام وقدمها منتصف شعبان سنة ١٠٥١، وصحبه البديعي فصيره نائباً بالمحكمة العونية. وكانت ايام ابن الحسام بالشام شامة في وجه الدهر، ثم صار قاضي دار السلطنة. وكانت ولادته سنة ١٠٠٣، ووفاته بمصر سنة ١٠٨١. راجع خلاصة الاثر ج٢، ص ٣٥١ – ٣٥٧ واذا اخذنا هـذه النتف وقرنا بها ما ورد في توطئة البديعي، وهو «لما كنت بدمشق الشام في خدمة ابن الحسام.. وكانت الركبان تأتي من الشهباء بمحامد قاضيها.. ثنيت عن الاقامة بدمشق عنـان الاختيار، والقيت بحلب عصا التسيار وتشرفت بنزله الشريف الخ». نقطع بان في العبارة تقديمـاً وتأخيراً افسدا المعنى، وذلك لانه اذا كان حقيقة بدمشق في خدمة ابن الحسام، وجاءته الركبان بمحامد قاضي حلب وثنى من اجله عنان الاختيار اليها، يكون ابن الحسام هو المتروك ويكون قاضي حلب الذي رغب به غيره. وصحة العبارة كما نقدر بالاستناد الى الترجمة التي نقلناها هكذا «لما كانت الركبان تأتي الى قوله ومجلسه المنيف، ولما كنت بدمشق الشام في خدمة ابن الحسام دام مجده ووري زنده، سمعته يذكر ابا العلاء الخ.»

وعليه فيكون هذا الكتاب قد ألفه بدمشق آخر ايام ابن الحسام فيها ، فهو من آخر ما كتب ولذا لم يقدر له الاشتهار مثل كتبه الاخرى .

ابن السيّد ص٨ س ١٢ صوابه : ابنُ السيد بكسر السين وسكون الياء على ما ضبطه جميع ارباب التراجم .. بديع الزمان الهمداني ص ١٧ س ٣ صوابه : الهمذاني بالذال المعجمة ، واما الهمداني بالدال فصاحب كتابي الاكليل والتيجان وهو غيره .. ابنة الكرام ص٢١ س ١٠ صوابها ابنة الكرم : حس جبل ص١٨ س ١٠ الاصح : حسيس جبل كما في التنوير شرح السقط ، ولان الحس محل خلاف في المعنى المستعمل فيه . والاصوب عندي جش بالضم الذي هو بمعنى شدة الصوت ، ومنه الاجش للغليظ الصوت من الرعد والخيل .

ان سور بغداد كان مربعاً ص ١٧ س٢٦ صوابه : كان مدوراً كما في معجم البلدان لياقوت . كل ضلع منه ميل ص ١٧ س ٢٦ صوابه : بين كل باب من ابواب المدينة وبين الآخر ميل ، اي قطر دائرته ميل . وانها ضمير الشأن ويجوز تأنيثه ص ١٩ س٤ صوابه : وجاز تأنيثه ، وذلك لان الضمير مؤنث بالفعل في البيت ، ويشهد لهذا عبارة التنوير « وقوله وانهــا الضمير فيه ضمير الامر والشأن ، وانما انث الضمير ارادة الحطة الخ .. سيفاً لشاطىء البحر ص ١٩ س ٥ صوابه : سيفاً كشاطىء كما في التنوير ، فان السيف هو الشاطىء فكيف يستقيم التركيب .. اي لم ص ١٩ س ٢٧ صوابه : اي لِمَ لَمْ لكي يصح الشرح .. الشراف ص ٢٢ س ٣ صوابه : حذف ال منه قطعاً فانه كقطام .

ذكر البديعي في ص ٢٣ س ١٧ ، ان وفاة الشريف الطاهر كانت سنة ٤٠٣ ، فعلق الاستاذ الناشر بقوله « يشكل على هذا ان جمهور المؤرخين، ذكروا ان المعري دخل بغداد سنة ٣٩٨ واقام سنة وبضعة اشهر ، فالصواب ماذكره ابن الوردي من ان الشريف الطاهر توفي سنة ٤٠٠ » . والمأخذ عليه اولاً ان ابن الوردي ليس هو قائل ما ذكر ، بل على العكس اقتصر على مثل قول البديعي . وانما قائله ابن خلكان في ترجمة ولده الشريف الرضي ، فقد ذكر قولين احدهما مثل قول البديعي وثانيهما سنة ٤٠٠ . وثانياً ان ما عليه جمهور المؤرخين اشتباه عند التحقيق ، وذلك لان ابن الوردي وهو من محققي المعري ، ذكر في تاريخه ما نصه « وفيها اي سنة ٤٠٣ نزل المعري الى بغداد ليقرأ بها العلم فلم يصادف بها مثله ، قال الشيخ ابو غالب همام بن الفضل في تاريخه كذا حدثني ابو العلاء .

وفيها توفي والد الشريف الرضي ورثاه المعري » .. ولان ارباب التراجم ذكروا ان الشريف الرضي توفي بعد ابيه بثلاثة اعوام ، ونص ابن خلكان على ان وفاته اي الرضي كانت سنة ٤٠٦ . ونحن نعرف ان الشريف الطاهر كان نقيباً كبيراً وكذلك ولده الشريف الرضي ، ووفاتهما من الاحداث الكبيرة التي يبعد فيهـا الاشتباه بخلاف رحلة المعري ، وقد ورد في سقط الزند النص على انه قال قصيدة الرثاء ببغداد ، مما لا يحتمل معه انه رثاه بها من المعرة بعد ما نزح عنها . لهذا كله اجدني مطمئناً الى ان رحلة المعري الى بغداد ، كانت في حدود سنة ٤٠٣ وليس كما هو المشهور اشتباهاً . ويتخيرون ص ٣٦ س ٩ صححها الاستاذ الناشر بكلمة يتجزؤن بمعنى يجتزئون ، وانما صوابها يتخيرون اي يملكون الخيار فيه .. استأنسن بالعطل ص٣٦ س ١٨ صوابها : لاستأنسن بالعطــل والا فالمعنى فاسد .. يراعي الشمس انى قابلته ص ٣٧ س ٦ اصح منها رواية ابن عمران : يصد الشمس انى واجهتنا .. فاجاب الحافظ الذهبي ص٤١ س ١٤ صوابه : فاجاب الحافظ النووي ، كما ذكره الذهبي نفسه في تاريخ الاسلام .

تلك الخيانة ص ٤٢ س ٧ صوبتها اللجنة التي اشرفت على طبع « تعريف القدماء بابي العلاء » بكلمة الحيانة ، ولا معنى لها في التركيب . وانما صوابها الصيانة ، وذلك لان الباخرزي يدفع عن المعري تهمة معارضة القرآن ، ويشير الى كتابه « زجر النابح » فقال : واظهر من نفسه تلك الصيانة اي التصون وجذ تلك الهوسات كما تجذ العير الصليانة ، والا فما معنى قوله وجذ تلك الخ على تصحيح اللجنة .. مفعول اقول ص٤٤ س٢٧ صوابه : مقول اقول ، وذلك لان البيت في محل مفعول لا قول وليس مفعولا .. بالتقريع ص ٤٥ س ٢ صوابه : بالتفريع كما في التنوير ويصح ان يكون بالترويع .. كنفس نابل احدنا بل ايسر ص ٥٠ س ٥ صوابه كنفس احدنا ، بل ايسر ونابل زيادة تفسد المعنى .. حبة ص ٥٠ س ١٧ علق المصحح بقوله في الاصل حية ، وما في الاصل هو الصواب، فان المعري يتكلم عن الحية التي تعرض للمسافرين .. بالآبار ص ٥١ س ٣ صوابه : بالابار اي معالجة النخلة بالطلع .

لبن الجدود ص ٥٥ س ٧ صوابه : لبن الجــداد اي التمر المتحلب بالدبس ، وكم هو غريب من الناشر ان يثبت الجدود المصحفة ، ويشرحها بالنعجة القليلة اللبن ، مع ما هو معروف عن المعري من انه يحرم الالبان .. الفرهودي بضم الفاء ص٨٨ س١٠ صوابه : الفرهودي كفردوسي نسبة الى الفرهود على غير قياس

راجع طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٥ .

هذه طائفة من الاستدراكات التي عرضت اثناء مطالعة النسخة ، وهي غير جسيمة بالنسبة الى ان الاستاذ الناشر يهمل الضروري في منهج النشر العلمي ، حتى مراجعة نص الاصل الذي ينقل عنه البديعي والتأكد من صحته ، مثل (لا تجاب عنه الاغطية ولا الجيوب) ص ٨٩ ، وصحتها ولا يجوب قطعاً وهي كذلك في كل النسخ المنشورة من رسالة الغفران . وخذه من ص ٦-٧ و ١٨ - ٢٣ و ٣٠ - ٣٣ ، وقارنها بالتنوير شرح سقط الزند الذي نقل عنه البديعي حرفاً بحرف ، تجد ان الناشر لم يكلف نفسه المقارنة والمقابلة فجاءت الشروح وملؤها الخطأ .

وايضاً لا ينبه الا على الاعلام الشهيرة ، اما التي تحتاج الى التنبيه فيهملها اهمالا كبيراً ، مثل (ابن ايبك) ص ٣٩ ومثل (ما حكاه صاحب الحدائق) ص ٢٨ . وهو في ص ١٠٨ يعلق على فصل المعميات بقوله « انني لم اهتد بعد تقليب النظر واعمال الفكر في حل اكثرها . وارى من العبث اضاعة الوقت الخ » . لست افهم كيف ينهض عدم اهتدائه عذراً لاثبات الابيات غير مستقيمة ، وينهض ايضاً مبرراً للنصح باهمالها ، ولا بأس من ان نثبت هنا حل بعضها مما لا يحتاج الى شرح كبير :

لغز بهرام مضمن في (رام عليه بهاء) فبهاء تشير الى الباء والهاء ، ورام بلفظها نفسه . ولغز فهمي مضمن في (هام في) . ولغز مبرك مضمن في (كريم) اذا عكس . ولغز صادق مضمن في (صاد باول قبلة) فان اول كلمة قبلة القاف وهي اذا اضيفت الى صاد الفت كلمة اللغز . ولغز درويش مضمن في (شيء ورد) . ولغز خالد مضمن في (آل نجدي) . الى آخر ما اثبت البديعي من الالغاز وكثير منها محرف ، ولا مجال للحديث عنه الآن .

والكتاب بعد ذلك تحفة نفيسة بموضوعه واتقان اخراجه ، يشكر عليه محققه الاستاذ الكيلاني الذي وفق دون شك الى شيء كثير يستحق الاعجاب ، وكذلك المعهد الذي نشره وعسى ان تطرد لديه الجهود .

عبدالله العلايلي

آراء واحاديث في الوطنية والقومية

للاستاذ ساطع الحصري - ١٦٠ صفحة - مطبعة الرسالة القاهرة

كتاب قيم يجمع محاضرات ومقالات القاها الاستاذ ساطع الحصري في مختلف نواحي بغداد ونشرت في بعض الجرائد والمجلات وغايتها شرح عناصر القومية وعوامل الوطنية ، ومناقشة اهم الآراء والنظريات العلمية في هذا الباب ، وتبيان القيم الروحية الثمينة التي يراها المفكرون العرب في ايقاظ الروح العربية الصحيحة ، وتركيز مؤسساتها على الحق والخير .

والاستاذ الحصري من كتاب العرب المحلقين المنتجين الذين آمنوا بقيمة العلم ، والقومية الصحيحة ، فارسلوا اراءهم ببيانهم القوي السهل ، فكانت امثولات تحفظ ، وتوعى وتنير الطرق في سبيل تكتل عناصر الامة العربية ، وتعاونها على خلق غد عظيم فيه كل ما تطمح اليه الانسانية ، ومثل عليا وهو من العاملين المؤمنين ان القضية العربية ليست وهماً من الخيال او فكرة من صنع المستعمر ولكنها ، « من العبارات الطبيعية التي تنبع من اغوار الطبيعة الاجتماعية ، لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع ان يبتدعها الافراد او تستطيع ان تخلقها الدول هي نتيجة طبيعية لوجود الامة العربية نفسها ، هي قوة اجتماعية تستمد نشاطها من حياة اللغة العربية وتاريخ الامة العربية واتصال البلاد العربية وان كل شيء اليوم يدل على ان دور كمونها قد انتهى وان تيارها اخذ يظهر للعيان ، وصار يتدفق شيئاً فشيئاً ، وانه سيزداد تدفقاً من جميع النفوس العربية بسرعة متزايدة تزايداً هائلا وسوف لا يلبث حتى يغمر جميع البلاد العربية ويعيدها الى مجدها السالف ونضرتها الاولى بل الى ما هو اخصب واقوى واسمى » .

وكم هو مفيد لو طالع الشباب المفكر هذا الكتاب واستقوا من ينبوعه ففيه اطيب الماء واعذبه

ا . ز .

ابو العلاء في بغداد

للاستاذ طه الراوي - ٧٢ صفحة - مطبعة التفيض - بغداد

القى الاستاذ طه الراوي محاضرة في قاعة الملك فيصل ببغداد عن ابي العلاء في بغداد . ولما اعجب بها المستمعون طلبوا من الاستاذ ان يخرجها لهم من طريق الطبع ، فنزل عند رغبتهم وقدمها مع زيادات وتصرفات كثيرة في كتيب صغير تحت عنوان (ابو العلاء في بغداد) وقال في مقدمته : انما وقع الاختيار على هذا الفصل لصلته بمدينتنا العزيزة بغداد ولما فيه من المتعة الادبية ولانه آخر فصل من فصول الحياة الطليقة لابي العلاء التي كان يشوب الجد فيها بعض الهزل . ثم اخذ يذكر رحلته الى مدينة السلام مع الاسباب التي دعته لذلك وما لقي بها من تلك الحالة السياسية المضطربة التي كانت في الحضيض الاسفل من الارتباك والاضطراب الى تلك الحالة العلمية التي كانت في ذروة المجد والعلى ثم يستطرد

ويسأل : كيف التوفيق بين هذين المتناقضين والمشهور ان العلوم والاداب لا تنبتان الا في ظل السياسة الرشيدة التي تقيم موازين العدل وتضبط مقاييس المساواة وتعطي الحريات حقوقهـا كاملة موفورة ثم يجيب فيقول ان العلوم نور من الله لا يمكن اطفاؤه بالافواه ولا تغطيته بالاهواء ولكنه بطيء النماء ، يغرس في زمـان ، ويورق في زمان ويزهر بعد ازمان ويثمر فيؤتي اكله بعد حين من الدهر) .

ثم يرجع ويكتب رجوعه الى وطنه الاول (المعرة) مع قلب مملوء بالحب لبغداد وملبد بالشوق اليها ويرحل مفعم القلب بالحب لبغداد ولامه . ويختم كتابه ويقول : وقد يسأل القارىء الكريم اين بغدادنا اليوم من بغدادنا بالامس عندما زارها ابو العلاء . وهل ترجع ايام بغداد الى بغداد ويجيب فيقول ان المسافة بين الحالتين بعيدة لكن املنا في المستقبل وطيد فقد جاء في المأثور «ان الله ليستحيي ان ينزع السر من اهله» . وان في هذا التواصل السياسي والتعاون الثقافي الذين بدت طلائعهما بين ابناء الامة تباشير تؤذن بصبـاح ابلج وضاح .

وها نحن نؤمل ان يكون هذا الكتيب الصغير فاتحة لاقلام ادبائنا ، وخاصة للاستاذ الراوي الذي هو من الادباء المعدودين المتضلعين لكي يجني شعبنا الظمآن ثمرات مجهوداتهم العلمية والادبية .

كربلاء   زكي عبد الحسين الصراف

ينبوع الفن

مسرحية للاستاذ خليل تقي الدين – ١٤ صفحة – مطبعة المقتطف القاهرة

اي موعد حلو ، ذاك الذي يوافيه القلم بقده المشيق ، والورقة البيضاء بجدها المليس الناعم ، والدواة بلعابها السخي الازرق . انه الموعد الذي يحشد فيه الكاتب الفاظه ومعانيه ، ويستشرف منه آفاق الوحي والالهام الموعد الذي يتفجر عنه ينبوع الفن .

ولقد اتاح لنا الاستاذ خليل تقي الدين في مسرحيته « ينبوع الفن » هذا اللقاء الطريف بين قلم وورقـة بيضاء ودواة ، وادار بينها حواراً كله ماء ورفيف .

ماذا يمكن ان تنطق هذه الاشياء التي تهب الحياة وهي جامدة ميتة ، وتهب الخلود وهي رهن الضياع والنسيان « فتعود الدواة زجاجة تلقى في الطريق والورقة صرة صغيرة لشيء حقير والقلم قصبة جوفاء تلقى في النار او تدوسها الاقدام »

. الكاتب سادر في لهوه ، لقد جفا قلمه ودواته وورقته ، وهي في وحدتها القاسية ، تبث شكاتها المتصلة الحزينة .

القلم يحن الى نفيه من ينبوع دواته والدواة تدعو القلم وتستعطفه والورقة تنتظر ان يدلف الكاتب اليها لتداعبها يداه وتبعث لمساته فيها لذة راعشة . بيد ان الكاتب قد طال به الهجران وعزف عن الكتابة وما اليها بسبيل .

فاذا كان المشهد الثاني ، آب القلم الى رفيقتيه ، لقد تأدى اليه ان امرأة قد استبدت بقلب الكاتب فخلبت لبه ، امرأة لها عينان اصفى من الدواة وشفتان ارق من الورقة وقد يزري بقد القلم المشيق . وتأتمر هذه الاشياء بصاحبها لترده اليها ، فتسعى بالوقيعة بينه وبين حبيبته ، سيتألم ولا بد ، ولكن الناس مدينون للالم بكل رائع وسام . فلولاه لما عرف الكاتب نعمة الخلود والبقاء .

ويسطر القلم الى حبيبة صاحبه رسالة كاذبة ليثبت ذلك الحب الذي صرف الكاتب عن الناس . فاذا نجح في مسعاه ، رأينـا الكاتب في المشهد الثالث يفزع الى قلمه وورقته ودواته ، لقـد هجرته حبيبته وانتسخت احلامه ، وها هوذا يدلف الى منضدته ، حزيناً ، ويكتب في حمى الوحي .

ويهزج القلم فرحاً وتسري في الدواة رعشة الحياة ، وتهتز الورقة نشوة بملامسة يديـه ودفء لهاته . وهكذا تنعم هي في عرس الابداع ، ما دام قلب صاحبها في مأتم .

أرأيت الى هذا اللقاء الطريف الذي اتاحه لنا الاستاذ تقي الدين في مسرحيته الجديدة . أرأيت الى هذا الموعد الحلو الذي وافاه القلم والدواة والورقة وتحدث كل منها حديثه الناعم الطلي .

هذه مسرحية جديدة في موضوعها ، جذابة في براعة حوارها ، مشرقة في اسلوبها ، فالى الاستاذ تقي الدين نبعث باعجابنا ونستزيده هذا اللون الجديد من فنه وادبه .

دمشق   بديع حقي

جنازة قلب

للاستاذ محمد حاج حسين – ١٥٨ صفحة – منشورات دار اليقظة العربية بدمشق

مجموعة اقاصيص ارادها ناسجها للفن اي للادب الخالص وارادها للادب الاجتماعي ولم يبعد عن التوفيق في خطتيه الفنية والاصلاحية ولا سيما في اقاصيص جنازة قلب ص ١٩–٣٧ والحل الوحيد ص ٤١ – ٥٦ وشرف بين لص وتاجر ص ١٣١ – ١٤٠ وطلاق ص ١٤٣ – ١٥٨ على ان بعضها لا يخلو من تكلف مثل

اقصوصة نسيجُ العنكبوت ص ٩٩–١١٢ والمؤلف هيأ لاقاصيصه ديباجة انيقة ولقد كنا نتمنا له ان لا يقع بمثل ما قد وقع فيه من اخطاء لغوية كثيرة مثل « البارح » ص ١٣٩ بمعنى المبرح واسقاط « بين » في « شرف بين لص وتاجر » الى ضعف نحوي ايضاً مثل (نضر حميه) على ما هو الاشهر من مذهب النحويين في انهـا من الاسماء الخمسة .

اللزوميات

نقلها الى الانكليزية امين الريحاني الطبعة الرابعة ، مطابع صادر ريحاني ، بيروت

كانت الذكرى الالفية لميلاد ابي العلاء خصبةً حقـاً . لقد اطلعت للناس اشياء بعضها غث وبعضها ممين ، وانْ يكن الغث طاغياً ، شأنه في مهرجاناتنا الادبية ، على الصنف الاخر من البضاعة . وايا كان سبب ذلك ، او اسبابه ، فليس من شك في ان من محاسن هذا المهرجان الالفي المعري ، هذه الطبعة الرابعة من اللزوميات ، باللغة الانكليزية ، من ترجمة الكاتب العربي العظيم امين الريحاني .

لم ينقل امين الى لغة الانكليز لزوميـات ابي العلاء كلها ، فذلك امر احسبه وراء الطاقة ، خاصة وان امينا اقدم على هذا الصنيع وهو في شبابه الغض ، لم يستو بعد على الثلاثين . ويخيل الي انه عني اول ما عني بان يصطفي من اللزوميات ما هو ادل على ابي العلاء ، وما هو اشبه بروح الانكليزية التي ينقل اليها من ناحية ، وروح الشرق الذي يقدم الى الغربيين لوحة من لوحاته من ناحية ثانية . ومن هنا هذا المأخذ على ناشري الترجمة الافاضل ، لما لم يشيروا في هوامشها الى الاصول العربية التي عناها امين بالترجمة ، وهو عمل لا ندري ما اذا كان حققه الناشرون الغربيون في طبعاتهم الاولى .

بيد ان القارىء كثيراً ما يستطيع رد المقطوعات الى منابعها ، ليرى ان امينا قد تحرر اكثر ما يكون التحرر ، فـما قد نقل . اجل ، تحرر الريحاني فاحسن . ومحصل ذلك ان الريحاني قد اعطانا في ترجمته ما كان حرمنا اياه ابو العلاء ، فنفخ في اللزوميات من روح الشعر ، واجرى في ثناياها الماء ، وكانت قبل جافة تكاد تتشقق ، وبذلك ، وبطريقة الرباعية التي اصطنع ، نجح في ان ينقل القارىء الى جو معريٍ طريء ، ناعم ، فيه شيء من عمر الخيام . وليس بعيداً ما بين الرجلين على كل حال .

ان في نشر هذه الترجمة واذاعتها بين الناس في طبعة فائقة الاناقة ، ما كنا نحسب ان زمن الحرب يقدر على مثلها ، لتمجيداً لابي العلاء ، ولامين الريحاني ، وللعبقرية العربية جملةً .

منير البعلبكي

تطلب الاديب ومنشوراتها

✳

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضي
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات مطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	« السيد عبد السلام السباعي
		« السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	« السيد حنا نصره
		« عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متزلجي
طرطوس	«	« الاستاذ صالح علي
حلب	«	« السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	« الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج‌الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل. س. في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

القاهرة ١ تشرين اول – عقدت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي جلستها الثالثة وقد اشترك فيها الشيخ يوسف ياسين مندوب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، والاستاذ موسي العلمي مندوب فلسطين .

شونغ كونغ ٢ – اخلى الاميركيون مطار تشنوك ، وهو مركز امامي في مقاطعة كوانغسي الصينية حيث يغنم اليابانيون اراضي جديدة في هجومهم البطيء .

لندن ٣ – اذاع الجنرال بور رئيس المقاومة الداخلية في بولونيا بلاغاً فوق العادة جاء فيه ان المقاومة في فرصوفيا قد انتهت تحت ضغط القوات الالمانية العنيف .

لندن ٤ – تم الاتفاق بين الفريقين المقاتلين في دنكرك على هدنة موقتة لاخلاء مناطق القتال من المدنيين .

لندن ٥ – نزلت قوات برية وبحرية حليفة الى الاراضي اليونانية وجزر بحر ايجه .

لندن – احتلت القوات الروسية مدينة بور قرب بلغراد و « بور » تعتبر المدينة الاوربية الثانية في مناجم النحاس .

لندن ٦ – اعلنت وكالة الانباء الالمانية ان القوات الالمانية اضطرت في شمالي انفيرو تورنهوت الى الانسحاب على مسافة عدة كيلومترات .

لندن – استولت قوات الجيش الاميركي الاول على بغندورف الالمانية بعد قتال عنيف شمالي آخن .

الاسكندرية ٧ – انتهت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي من عقد جلساتها وقد اذاعت بياناً ضمنته القرارات التي اتخذتها وتتلخص بتأليف « مجلس جامعة الدول العربية » تمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة . ثانياً : التعاون في الشؤون الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها . ثالثاً : تدعيم هذه الروابط في المستقبل ، رابعاً : قرار خاص بلبنان يتضمن تأييد الدول العربية استقلاله . خامساً : قرار خاص بفلسطين تؤيد فيه اللجنة حقوق عرب فلسطين .

القاهرة ٧ – اقال جلالة الملك فاروق رفعة النحاس باشا من رئاسة الوزارة المصرية ، وعهد الى الدكتور احمد ماهر باشا بتأليف الوزارة الجديدة .

لندن ٩ – وصل المستر تشرشل والمستر ايدن الى موسكو للاجتماع بالمرشال ستالين والرفيق مولوتوف ، وسيمثل المستر هاريمان سفير الولايات المتحدة في هذا المؤتمر الذي يعقد في موسكو المستر روزفلت .

لندن ١١ – حررت القوات البريطانية في البانيا ميناء سراندا وهو ميناء صغير يستخدمه الالمان كقاعدة بحرية لتطويق جزيرة كورفو .

بيرل هاربور ١٢ – نزلت القوات الاميركية في احدي عشرة جزيرة من مجموعة جزر بالاو في المحيط الهادي .

بودابست – دخل الجيش الاحمر مدينة سيجد ثاني مدن المجر .

لندن – دخل الجيش الاحمر مدينة كلوج عاصمة ترانسلفانيا المركز الصناعي .

دمشق – قدم سعد الله بك الجابري رئيس الوزارة السورية استقالة وزارته الى رئيس الجمهورية السورية .

لندن ١٣ – حرر جنود المقاومة السرية في اليونان عاصمتهم اثينا .

عمان ١٤ – قبل سمو الامير عبد الله امير شرق الاردن استقالة السيد توفيق ابو الهدى من رئاسة الوزارة الاردنية وعهد بتأليف الوزارة الجديدة الى السيد سمير الرفاعي .

دمشق – الف فارس بك الخوري رئيس مجلس النواب السوري الوزارة الجديدة واشترك معه جميل مردم بك وخالد العظم وعبد الرحمن الكيالي .

لندن ١٦ – حررت القوات البريطانية جزيرة نيكوس اليونانية .

بيروت ١٧ – اعيد انتخاب صبري بك حماده لرئاسة مجلس النواب اللبناني .

دمشق – انتخب دولة سعد الله الجابري رئيساً لمجلس النواب السوري .

لندن ١٨ – احتلت قوات الجيش الاحمر في يوغوسلافيا مدينة بلغراد بمعاونة قوات المرشال تيتو .

واشنطن ٢٠ – نزلت قوات اميركية واوسترالية الى ارض الفيليبين بقيادة الجنرال ماك ارثر ، وذلك في جزيرة لايتي واستولت على تكلوبان اكبر مدينة فيها .

لندن ٢١ – استسلمت حامية أكس لاشابل ، وهي اول مدينة المانية تسقط في ايدي القوات الاميركية .

موسكو ٢٢ – انتهت الاجتماعات التي عقدت بين المستر تشرشل والرفيق ستالين في موسكو .

لندن ٢٣ – اعترفت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا والممتلكات بحكومة الجنرال ديغول حكومة موقتة لفرنسا .

مكسيكو ٢٤ – نشبت في غواتيمالا من جمهوريات اميركا الوسطى ثورة عنيفة ، وقد نجحت بعد نشوبها بساعات فانهارت حكومة بونسي .

لندن – دخلت القوات البريطانية مدينة هرتوغنبوش في هولندا .

لندن ٢٥ – تدور في المحيط الهادي قرب جزر الفيليبين رحى معركة بحرية كبرى ، هي اكبر معركة عرفتها هذه الحرب تشترك فيها قوات الاسطول الاميركي ووحدات ثلاث تشكيلات يابانية .

لندن ٢٦ – دخلت القوات الروسية مدينة كركنيز المرفأ الهام في البحر المتجمد الشمالي ، وهذا اول خطوة لتحرير النروج .

لندن – اتم الروس احتلال ترانسلفانيا .

لندن ٢٧ – حرر الجيش الكندي الاول مدينة اوستبورغ وهي آخر مدينة كبرى في هولندا .

لندن – القى المستر تشرشل خطاباً في مجلس العموم قال فيه : ان علاقاتنا مع روسيا السوفياتية لم تكن اشد وثوقاً وقرباً واخلاصاً مما هي عليه الآن . ولم تمر برهة كانت فيها مباحثاتنا دقيقة كالبرهة التي مرت خلال اجتماعنا الاخير في موسكو . وعندما كنا نجد انفسنا غير متفقين كنا نفهم تماماً الاسباب في قرارة كل منا وكان كل منا يدرك وجهة نظر الاخر ، واذا ما نظرنا الى المسائل التي بحثت من مختلف وجهاتها فاننا نجد روسيا السوفياتية على اتفاق معنا . وابدى المستر تشرشل وجهة نظره بقوله انه لا يخشى اي خطر مباشر على التأثير في جهودنا المشتركة من جراء السياسة في اليونان ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وهنغاريا . وصرح قائلا : « لقد توصلنا الى اتفاقية عملية طيبة بصدد هذه البلدان وغايتنا توحيد كل جهودهم وجهودنا ضد العدو المشترك . وانتقل بعد ذلك الى الكلام بصدد المسألة البولونية فقال : « مع اننا لم نتوصل بعد الى اتفاق تام حول المسألة البولونية الا ان هذا لم يكن سببه نقص في المحاولة ، وانني اعتقد انه توصلنا الى اكثر ما كنا عليه قبلا في سبيل حلها . واني آمل ان لا يطول الوقت او يضيع باستئناف هذه المباحثات والتوصل بها الى نتيجة حاسمة » . وتوصل بعد ذلك في خطابه الى الكلام عن الاعتراف بفرنسا فقال : لقد تساءل بعض المنتقدين لماذا لم تتخذ الخطى نحو ذلك قبلا الا ان الامر لم يكن بسيطاً لهذه الدرجة ، فمع ان الجيوش البريطانية والاميركية كان لها يد في تحرير فرنسا الا انه لم يكن من خصائصنا اختيار حكومة او حكام فرنسا .

وانتقل بعد ذلك الى الكلام عن اليونان فقال « لقد اتخذت التدابير مع الجنرال ولسن خلال زيارتي الماضية الى ايطاليا لنمكن الحكومة الملكية اليونانية من العودة الى اثينا المحررة حالما يصبح ذلك بالامكان ، وعندما خرجنا من اليونان وعدنا اننا سنعود وها قد برزنا بوعدنا والحكومة الشرعية تعمل في اثينا . واضاف قائلا : ان الفرقة اليونانية التي تحارب الان في ايطاليا ستعود عوداً مشرفاً الى بلادها ، ولسوف يختار الشعب اليوناني بحرية تامة حكومته .

لندن – احتلت قوات الجيش الاحمر المدينة التشيكوسلوفاكية ميكاتشيفو الواقعة بالقرب من تشيكوسلوفاكيا الوسطى وهي مدينة صناعية هامة عند سفوح تلال الكربات كان الالمان قد حصنوها تحصيناً عظيماً .

لندن ٢٨ – استولت قوات الجيش البريطاني الثاني على مدينة تيلبورغ الواقعة على مسافة اربعين ميلًا الى الشمال الشرقي من انتورب . وهي احدى المراكز الهامة للطرقات والخطوط الحديدية في هولندا .

لندن – تقول وكالة الانباء الالمانية ان هتلر قرر الانسحاب من اليونان بسبب التهديد الموجه الى مؤخرة المانيا .

لندن – ٣٠ – اصبحت القوات الاميركية في بر الفيليبين تسيطر على ثلثي جزيرة لايتي التي تبلغ مساحتها ١٨٠٠ ميل مربع .

الأديب

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف .

– تدفع الادارة خمس ليرات لبنانية ثمن النسخة الواحدة من الجزء الاول من السنة الاولى ١٩٤٢

وتدفع ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثالث من السنة الثالثة ١٩٤٤

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

★

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير التحرير : بهيج عثمان

المدير الفني : مختار شملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان